

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190717

UNIVERSAL
LIBRARY

مآثره العيون



الطبعة الثانية من سنة ١٩٥٥

محمد محمود

سائر أراءه لعين

الطبعة الثانية

الطبعة الثانية مزيّنة بالصورة

١٩٢٧ - ١٣٤٥

المطبعة السلفية - بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة للناشر

تخليداً لذكرى المرحوم شقيقي المحبوب « محمد تيمور » .
جمعتُ بعد وفاته جميع أعماله الأدبية والمسرحية وطبعتها في ثلاثة
أجزاء سميتها « وميض الروح » و « حياتنا التمثيلية » و « المسرح
المصرى » . ولم اطبع منها غير خمسمائة نسخة وُزعت معظمها على
الأصدقاء وأصحاب الجرائد والمجلات ودور الكتب العامة .
وما تبقى نفدتُ نسخته من الأسواق في بضعة أشهر .

ولما كان إعادة طبعها جميعها دفعة واحدة يتطلب مجهوداً كبيراً
، أيتُ ان اجزئىء هذا المجهود فأعيد طبعها على عدة دفعات . وإني
أبدأ اليوم بنشر قطعه القصصية الرائعة « ما تراه العيون » التي
أعدتها في مقدمه أعماله الأدبية كما أعدتها أيضاً في مقدمة مؤلفاتنا
العصرية .

هذا وقد رأيتُ اتماً للفائدة ان أصدر هذه المجموعة بموجز
بسيط عن تاريخ حياة الفقيه وبيان مختصر عن مؤلفاته ، مراعيًا في



المرحوم محمد بنعمور

ذلك ضيق المقام . إذ ان سفرأ صغيراً كهذا لا يهتمل اكثر من ذلك . واني بهذا العمل الصغير أقوم ببعض الواجب المفروض على نحو شقيقى وصديقتى واستاذى الراحل ، من سبقتى ذكراه منقوشة فى قلبى . كذلك بنشرى هذه الأقاصيص ، الصغيرة فى عددها ، الخلية فى قيمتها ، أقوم بنصيب من الواجب المفروض على نحو أدبنا المصرى الحديث الذى نجاهد كلنا ، مطاعين ومؤلفين ، فى سبيل رقيه والسير به نحو الكمال . والله يكال مسعالم بالنجاح .

ابريل سنة ١٩٢٧

الجزيرة .

محمود نيمور

مؤرخ

عن

حياة المؤلف

وأعماله

المرحوم محمد تيمور

(١٨٩٢ - ١٩٢١)

ولد المرحوم « محمد تيمور » في القاهرة عام ١٨٩٢ . وتوفي بها في شهر فبراير عام ١٩٢١ . أتم علومه الابتدائية والثانوية في المدارس الأميرية المصرية . ثم قصد الى فرنسا لتعلم القانون . وصرّف فيها ثلاثة أعوام . واعانت الحرب العظمى عام ١٩١٤ عند ما كان في مصر يمضي اجازة الصيف . فلم يستطع العودة لانتمام دراسته .

كان شغفه كبيراً بالأدب والمسرح منذ الصغر - وهذا يفسر لنا شدة عنايته بهما فيما بعد - فاستطاع أن ينظم الشعر وهو في سن العاشرة وظهرت له مقالات في الصحف وهو لم يفارق المدرسة الابتدائية . ولما انتقل الى المدرسة الثانوية ازداد شغفه بالأدب والشعر . وكتاباتاه كلها في ذلك الحين تتميز برشاقة العبارة وحسن الاسلوب ، تنبؤ ، بمستقبل زاهر في عالم الادب . ولكنه اهمالها على إثر عودته من أوروبا إذ وجدها دون مستواه الفكري في ذلك الوقت .

أطوار حياته الثلاثة

أطوار حياته الثلاثة هي : طور المنزل والمدرسة . طور الدراسة .
في فرنسا . طور العودة إلى مصر .

فالطور الأول يمتاز بظهور ميوله الأدبية التي ورثها عن أبيه .
وكيف ساعدت بيئته المنزلية باحثها كما الدائم مع والده ، وهذه
الميول وازدهارها .

والطور الثاني - وهو ما يجدر بنا ان نسميه طور الانتقال -
يمتاز بشورنه الفكرية ، وليدة بيئته الجديدة ، حيث عاش ثلاث سنين
في جوها الرائع مغموراً ببحرية التفكير واستقلال الرأي والاعتماد على
الذات ، محاطاً بكل ما هو جليل وفيد من نظريات صائبة ومذاهب
باضحة وآراء جديدة . فأخذ ينهل مما حوله موجهاً عنايته لدراسة
الادب والمسرح الفرنسي على وجه خاص . فاستفاد من هذه
الدراسة فائدة رأينا أثرها واضحاً في مؤلفاته .

والطور الثالث هو طور العمل . وقد بدأ على أثر عودته من
فرنسا . فأخذ ينظم مقطوعاته النظمية الوجدانية ويؤلف قصصه
وخواتمه ومذكراته ويكتب نقده ورواياته . وفي هذا الطور أيضاً
دفعه حبه للتمثيل أن مثل روايتين على المسارح المصرية . الأولى

رواية « عزة بنت الخليفة » للكاتب القدير ابراهيم رمزي. والثانية « العرائس » لبيرواف وترجمة الأستاذ اسماعيل بك وهبي المحامى. وقد قوبلت جميع كتاباته الادبية والمسرحية كما قوبل تمثيله فى الروايتين السافيتين بكل ترحيب وتحميد. والحقيقة التى لا يمكن أن ينكرها أحد ان التقيد كان يفتح بعلمه هذا فتحاً جديداً فى الادب المصرى والمسرح المصرى.

وأهم شىء يدعو للاعجاب به والاكبار من شأنه مجهوده المتواصل، المسكال بالنجاح فى سبيل ايجاد آداب مصرية بحثة بألوان محلية، آداب تعبر عن أخلاقنا وعوائدنا وترسم لنا صورة صحيحة عن بيئتنا بما فى هذه البيئة من فضائل وتقائص. وما رواياته المسرحية وقطعه القصصية (ماتراه العميون) إلا برهان ساطع على هذا المجهود الكبير الذى وضع به أول دعامة فى أدبنا المصرى الجديد ومسرحنا المصرى الخديب.

توفى المرحوم محمد تيمور ولم يبلغ اثنالنين بعد. ولكنه ترك من بعده ارثاً صالحاً غنياً بما فيه من آراء ناضجه، وأفكار حيه جريته، وطرق لم يهدها ادبنا فى القمد، وأسلوب فكاهى سلس أخذ يدل على مقدرة فنية اختصت به دون سواه. والذى كان

يتماز به الفقيه قوة ملاحظته الدقيقة . وهذا يفسر لنا براعته في تصوير النفوس البشرية ومناظر الحياة على اختلاف أنواعها .

مؤلفاته

واليك بيان مؤلفاته التي أهمها في مدة لا تتجاوز الستة أعوام ، والتي شهد له كل من اطلع عليها أنها تحفة نادرة في عالم الأدب المصري الجديد .

الجزء الأول . وهو كتاب وميض الروح . ويحتوي على الكتب الآتية :

(١) ديوان تيمور . وهو مجموعة منظوماته . (٢) كتاب الوجدان . وهو مجموعة قطعه الأدبية من الشعر المنشور (٣) الادب والاجتماع . وهو مجموعة مقالاته الأدبية والاجتماعية . (٤) ما تراه العميون وهو مجموعة أقاصيصه المصرية . (٥) خواطر . وهي مجموعة خواطره عن الحياة . (٦) مذكرات باريس .

وهذا الجزء مصدر بمقدمة طويلة عن تاريخ حياة الفقيه وشرح أعماله بقلم « الناشر » .

الجزء الثاني . وهو كتاب حياتنا التمثيلية . ويحتوي على الكتب الآتية :

(١) تاريخ التمثيل وهو مجموعة مقالات عن تاريخ التمثيل في

فرنسا ومصر . (٢) التمثيل الفنى واللافنى . (٣) محاكمة مؤلفى الروايات التمثيلية. وفيها محاكمة المرحوم فرح انطون والاستاذ ابراهيم رمزى والاستاذ لطفى جمعه والشاعر الكبير خليل بك مطران . (٤) نقد الممثلين. وقد أتى فيه على نقد لاريجانى والمرحوم الشيخ سلامه حجازى وحورج أبيض وعبد الرحمن رشدى وعزيز عيد وروز اليوسف ومنيرة المهديه وميليا ديان وغيرهم . (٥) مقالات عامة عن التمثيل . (٦) المقاصد التمثيلية (المولوجات) . (٧) رواية « الهاوية » وهى كوميدي دراماتيك مصريه أخلاقية ذات ٣ فصول ، مثلتها فرقة ترقية التمثيل العربى لأول مرة بمسرح الخديقه مساء الاربعاء ٦ أبريل سنة ١٩٢١ . أى بعد وفاته .

وهذا الكتاب مصدر بة مقدمة ضريفة الاستاذ زكى تليجات تكلم فيها عن التقييد كعامل ومؤاف للمسرح المصرى .

الجزء الثالث . وهو كتاب المسرح المصرى . ويحتوى على الروايات الآتية :

(١) العصفور فى انفص . وهى كوميدي مصريه أخلاقية ذات أربعة فصول مثلتها فرقة عبد الرحمن رشدى لأول مرة بمسرح برنتايا مساء الجمعة أول مارس سنة ١٩١٦ . (٢) عبد الستار افندى . وهى كوميدي مصريه أخلاقية ذات أربعة فصول . مثلها

لاول مرة بمسرح دار التمثيل العربي الاستاذ عزيز عيد بفرقة
السيدة منيرة المهديّة في ديسمبر سنة ١٩١٨ .
وهذا الجزء مصدر بمقدمة احمد يمتنا الاديب الفاضل محمود
عزى



في القطار

في القطار

صباح ناصع انجبين يجلى عن القلب الحزين ظلماته ويرد للشيخ
شبابه. وسيم عليل ينعش الافئدة ويسرى عن النفس همومها . وفي
الحديقة تمايل الاشجار يمنة ويسرة كأنها ترقص لتقدم الصباح .
والنماس تسير في الطريق وقد دبت في نفوسهم حرارة العمل . وأنا
مكتآب النفس أنظر من النافذة لجمال الطبيعة وأسائل نفسى عن
سر اكتبها فلا أهتدى لشيء

تناوت ديوان «موسيه» وحاولت القراءة فلم أفجح . فألقيت
به على الخوان وجاست على مقعد واستسلمت للتفكير كأنى فريسة بين
مخالب الدهر

مكثتُ حيناً أفكر ثم نهضت واقفاً وتناوت عصاى وغادرت
منزلى وسرت وأنا لا أعلم الى أي مكان تقودنى قدمى الى أن
وصات الى محطة باب الحديد وهناك وقفت مفكراً ثم اهتديت
للسفر ترويحاً للنفس . وابتعت تذكرة - درجة ثانية - وركبت
القطار للضيعة لأقضى فيها نهاري بأكمه

جاست في إحدى غرف عربات القطار بجوار النافذة ولم يكن

بها أحد سواى وما لبثت فى مكانى قليلا حتى سمعت صوت بائع
الجرائد يطن فى أذنى « وادى النيل . الاهرام المقطم » فابتعت إحداها
وهممت بالقراءة واذا بباب الغرفة قد انفتح ودخل شيخ من المعتمدين



الشيخ المعتم

أسمر اللون طويل القامة نحيف القوام كث اللحية له عينان أقفل
أجفانهما الكسل فكأنه لم يستيقظ من نومه بعد .

وجلس الاستاذ غير ايمد عنى وخلع روكوبه الاحمر قبل أن يتربع
على المقعد ثم بصق على الارض ثلاثاً ماسحاً شفقيه بمنديل أحمر
يصلح أن يكون غطاء لطفل صغير . ثم أخرج من جيبه مسيحة ذات
مائة حبة وحبّة وجعل يردد اسم الله والنبي والصحابة والأولياء
والصالحين . فحوات نظرى عنه فاذا بى أرى فى العرفة شابا
لا أدرى من أين دخل علينا . وامل انتغالى برؤية الاستاذ . عنى
أن أرى الشاب ساعة دخوله

نظرتُ الى الفتى وتبادر لذهنى أنه طالب ريفى انتهى من
أدوية امتحانه وهو يعود الى ضيعته ليقضى إجازته بين أهله وقومه .
نظر الى الشاب كما نظرت اليه ثم أخرج من محفظته رواية من روايات
مسامرات الشعب وهم بالقراءة بعد أن حوّل نظره عنى وعن الاستاذ .
وظرتُ للساعة راجياً أن يتحرك التطار قبل أن يوافينا مسافر رابع
فاذا بأفندى وضاح الطلعة حسن الهندام دخل غرفتنا وهو
يتبختر فى مشيته ويردد أنشودة طالما سمعتها من باعة الفجل
والنرمس . جلس الأفندى وهو يبتسم واضعاً رجلا على رجل



﴿ الطالب الرفي ﴾

بعد أن قرأنا السلام فرددناه رد الغريب على الغريب
وساد السكون في الغرفة والتلميذ يقرأ روايته والاستاذ يسبح
وهو غائب عن الوجود والافندي ينظر لملابسه طوراً وللمسافرين



﴿ الافندى المعجب بنفسه ﴾

تارة أخرى وأنا أقرأ وادى النيل منتظراً أن يتحرك القطار قبل
أن يوافينا مسافر خامس
مكثنا هنيهة لانتكلم كأننا ننتظر قدوم أحد فانفتح باب الغرفة
ودخل شيخ يبلغ الستين أحمر الوجه براق العينين يدل لون بشرته

على أنه شركسيّ الاصل . وكان ممسكا مظلة أكل الدهر عليها
وشرب ، أما حافة طربوشه فكانت تصل الى اطراف أذنيه .



وجلس أمامي وهو يتفرس في وجوه رفقائه المسافرين كأنه يسألهم من أين هم قادمون وإلى أين هم ذاهبون . ثم سمعنا صفير القطار ينبئ الناس بالمسير . وتحرك القطار بعد قليل يتمل من فيه إلى حيث هم قاصدون .

سافر القطار ونحن جلوس لا نتفوه ببنت شفة كأنما على رؤوسنا الطير حتى اقترب من محطة شبرا فاذا بالشركسي يحملق فيّ ثم قال موجهًا كلامه إلى :

— هل من أخبار جديدة يا أفندي ؟

فقلت له وأنا ممسك الجريدة بيدي :

— ليس في أخبار اليوم ما يستلفت النظر اللهم الا خبر اهتمام

وزارة المعارف بتعميم التعليم ومحاربة الامية

ولم يهاني الرجل أن أتم كلامي لانه اختطف الجريدة من يدي دون أن يستأذني وابتدأ بقراءة ما يقع تحت عينيه . ولم يدهشني ما فعل لآني أعلم الناس بحدة الشرا كسة . وبعد قليل وصل القطار محطة شبرا وصعد منها اغرفتنا أحد عمد القايبوية . وهو رجل ضخيم الجثة كبير الشارب أفطس الانف له وجه به آثار الجدرى تظهر عليه مظاهر القوة والجهل . جلس العمدة بجوارى بعد أن قرأ سورة



العمدة

الفاتحة وصلى على النبي ثم سار القطار قاصداً قليب
مكث الشر كسي قليلاً يقرأ الجريدة ثم طواها وألقى بها على
الأرض وهو يحرق الأرم غيظاً وقال :

— يريدون تعميم التعليم ومحاربة الامية حتى يرتقى الفلاح الى مصاف أسياده ، وقد جهلوا أنهم يجنون جناية كبرى

فالتقطت الجريدة من الأرض وقلت :

— وأى جناية ؛

— إياك ما زلت شاباً لا تعرف العلاج الناجع لتربية الفلاح

— وأي علاج تقصد ؟ وهل من علاج أنجمع من التعليم ؟

فقطب الشركى حاجبيه وقال بلهجة الغاضب :

— هناك علاج آخر

— وما هو ؟

فصاح بملء فيه صيحة أفاق لها الاستاذ من نومه وقال :

— السوط . إن السوط لا يكاف الحكومة شيئاً أما التعليم

فيتطلب أهوالاً طائلة . ولا تنسى أن الفلاح لا يدعن إلا للضرب

لأنه اعتاده من المهد الى اللحد

وأردت ان اجيب الشركى ولكن العمدة حفظه الله

كفانى مؤونة الرد فقال للشركى وهو يتسم ابسامة صفراء :

— صدقت يا بيه صدقت . ولو كنت تسكن الضياع مثلنا لقلت

أكثر من ذلك . اننا نعاني مع الفلاح مانعاني لنكبح جماحه ونمنعه

من ارتكاب الجرائم
فنظر اليه الشركى نظرة ارتياب وقال :

— حضرتكم تسكنون الارياف ؛

— أنا ولود بها ياييه

— ما شاء الله

جرى هذا الحديث والاستاذ يغط فى نومه والافندى ذو
الهندام الحسن ينظر لملابسه ثم ينظر لنا ويضحك. أما التلميذ فكانت
تظهر على وجهه سجا الاشمزاز . ولقد همم بالكلام مراراً فلم يمنعه إلا
حياؤه وصغر سنه . ولم أطق سسكوتاً على ما فاه به الشركى
فقلت له :

— إن الفلاح يا ييه انسان مثلنا وحرام ان لا يحسن الانسان

معاملة اخيه الانسان

فالتفت الى العمدة كأنى وجهت اليه الكلام وقال :

— أنا أعلم الناس بالفلاح . ولى الشرف أن أكون عمدة فى بلد

به ألف رجل . . وإن شئت أن تقف على شئون الفلاح أجيبك .

إن الفلاح يا حضرة الأفندى لا يفلح معه الا الضرب ولقد صدق

البك فيما قال .

وأشار بيده الى الشركى . فقال الشركى وهو يبتسم

!بتسامة الساخر :

— ولا ينبؤك مثل خبير

واسشاط التلميذ غضباً ولم يطق السكوت فقال وهو يرتجف :

— الفلاح يا حضرة العمدة ...

فقاطعه العمدة قائلاً :

— قل « يا سعادة البك » لأنى حزت الرتبة الثانية منذ

عشرين سنة

فقال التلميذ :

— الفلاح يا حضرة العمدة لا يدعن لاوامركم إلا بالضرب

لأنكم لم تعودوا غير ذلك . فلو كنتم أحسنتم صديقكم معه لكنتم

وجدتم فيه أخاً بئس كانف معكم ويعاونكم . واسكنكم مع الأسف

أساتم اليه فعمد الى الاضرار بكم تخلصاً من اساءتكم . واه ايد هسنى

أن تكون فلاحاً وتنحى باللائمة على إخوانك الفلاحين

فهز العمدة رأسه ونظر للسر كسى وقال :

— هذه هى نتائج التعاليم

فقال السر كسى :

— نام وقام فوجد نفسه قائم مقام

أما الافندى ذو الهندام الحسن فإنه قبهه ضاحكاً وشفق بيديه

وقال للتلميذ :

-- برافو يا أفندي . برافو . برافو .
فنظر اليه الشركى وقد انتفخت أوداجه واهسر عليه التنفس
وقال :

— ومن تكون أنت

— ابن الحظ والانس يا أنس

وضحك عدة ضحكات متواليات

فلم يبق في قوم الشركى منزع فصاح وهو يبصق على
الارض تارة وعلى جبة الاستاذ وعلى حذاء العمدة طوراً :

— أدبسيس . بس فلاح

ثم سكت وسكت الحاضرون . وأوشكت أن تبدأ العاصفة لولا
أن التفت العمدة للاستاذ وقال :

— أنت خير الخا كمين ياس يدنا فاحكم لنا في هذه القضية .

فهز الاستاذ رأسه ونهضح وبصق على الارض وقال :

— وماهى القضية لأحكم فيها باذن الله جل وعلا ؛

— هل اننعلم أفيد للفلاح أم الصرب ؛

فقال الاستاذ :

— بسم الله الرحمن الرحيم . انا فتحنا لك فتحاً مبيناً . قال

النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تعلموا أولاد السفلة العلم »

وعاد الاستاذ الى خموله وأطبق أجفانه مستسلماً للذهول .
فضحك التلميذ وهو يقول :

— حرام عليك يا استاذ . ان بين الأغنياء والفقراء من هو

على خلق عظيم كما أن بينهم من هو في الدرك الاسفل
فأفاق الاستاذ من غشيته وقال :

— واحسرتاه . انكم من يوم ما تعلمتم الرطان فسدت عليكم

أخلاقكم ونسيتم أوامر دينكم . ومنكم من تبجح وبغى واستكبر
وأنكر وجود الخالق

فصاح الشركى والعمدة :

— لك الله يا استاذ

وقال الشركى :

— كان الولد يخاف ان يأكل مع أبيه واليوم يشتمه ويهم بصفعه .

وقال العمدة :

— وكان الولد لا يرى وجه عمته والآن يجالس امرأة أخيه .

ووقف القطار في قليوب فقرأت الجميع السلام وغادرتهم وسرت

في طريقى الى الضيعة وأنا أكاد لأسمع دوى القطار وصفيره وهو
يعدو بين المروج الخضراء الكثرة ما يصيح في أذنى من صدى

الحديث . (٧ يونيو سنة ١٩١٧)

عطفة (ال.....)

نزل رقم ٢٢

عطفتة (ال٠٠٠٠) منزل رقم ٢٢

دخلتُ غرفةً عملي بوزارة (ال٠٠٠٠) وجلست أمام مكتبي
وأمسكتُ بجريدة « وادي النيل » اقرأ شيئاً عن السياسة وعن
الاخبار . وما لبثت في مكاني دقيقتين إلا وحانت مني التفاتة للباب
فرأيت زميلي « أمين علي » يتدروني السلام بقوله :

— صباح الخير يا ابو علي

فألقيت الجريدة على المكتب ورددت السلام بأحسن منه .

ثم تناب زميلي فتشاءبت . وقلت :

— جازاك الله يا أمين بالموت علي ما بدر منك أمس . لقد

سقتني الى بؤرة كدت أن أموت فيها

— أينما الخطيء ؟

— الله أعلم

— دعنا من العتاب . تلك ليلة لا يسمح الزمان بمثلها الا في

السنة مرة . ولولاتها فتك على الحُر وإكثارك من معاقرتها لما سألت

الله أن يجازيني بالموت على هذا الجميل الذي أسديته اليك

— ولكنني مازلت أشكو ألماً في الرأس وتثاقلاً في الجسد .

ويا حبذا لو كان اليوم يوم الجمعة

— وماذا كنت تفعل ؟

— كنتُ أتناول مسهلاً وألزم سريري طول يومى

— تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

ثم جالس أمين أمامى وأسند رأسه بيديه ونام أو استسلم للنوم .
فنظرتُ إليه وظهرتُ لى على وجهه صورة شنيعة ، صورة المدمن
الذى لا يفارق الحانات والمواخير وبيوت الفسق والدعارة إلا
عند الفجر . فقلت فى نفسى : « إن هذه الصورة المرتسمة على وجهه
ما زالت مرتسمة على وجهى أيضاً . إنه يحب الخمر وأنا لا أبعضها .
هو زير نساء وأنا أبحث عن المرأة فى كل مكان . فلا فرق بينى وبينه
الا أنه متزوج وأنا أعزب . ولكن الفرق ليس بالكبير لأنه لا يرى
امراته الا ست ساعات فى كل يوم يقضيها وهو مستلق على ظهره
بجوارها يغطى فى نومه . فامراته فى نظره كالوسادة فى نظرى . فنحن
إذاً فى مستو واحد »

وُظفت فى وزارة (ال . . .) منذ ستة أشهر عرفت أمين فى
اليوم الأول من الشهر الاول منها . واثنتى عشرته وربطتنى به
رابطة الاتفاق فى المشرب لارابطة الود والوفاء . واكنى استشعرت
بعد أن قضيت معه شهرين على صفاء ووثام برابطة الصداقة تربطنى
به وتربطه بى . وما لبثنا أن أصبحنا صديقين لانفترق الا بعد منتصف

الليل . كنت أشتغل معه في الوزارة وكنت أقضى معه عصر كل يوم في « سبلند بار » وإذا دنا وقت العشاء أكلنا سوياً في مطعم « أو بلسيك » أو مطعم « أركل » وكلمات الجمعة تحف بخواننا. ثم تقضى الليل في دار من دور التمثيل أو في بيت من البيوت المفتوحة أبوابها للناس أجمعين. ثم يرجع كل لمنزله فكنت اسير معه الى باب بيته في عطفة (. . .) رقم ٢٢ واسير في طريقي لمنزلي وانا لا أوى على احد

كان هذا شأني معه وكنت مسروراً من عشرته مغتبطاً بوفائه ومحبته . وظننت أني سأبقى مستودع اسراره الى الأبد . ولم يحدث بيننا والحمد لله في الستة الأشهر التي مضت ما يدعو للهجر أو القطيعة

ثم أفاق أمين من نومه وأعطاني سيكارة أشعلتها بعد أن أشعل أختها لنفسه . ومكثنا هنيهة نفكر . ثم التفت الى وقال :

— آه من النساء

— انك ترئى فيهن رأياً تخالف فيه سواد الناس

— أنا لا أحب الا من يرتدين الازار البلدى (الملاية الف)

— وأنا لا أكره الا هؤلاء

— يا للعجب أتكره هذا الصنف من النساء وبينهن من يستهوين الافئدة ويمتلكن النفوس

— انى لا أرى فى ذات الازار البلدى الا امرأة قدرة مبتدلة

بأنف منها كل ذى ذوق سليم

— أشكرك . . . !

ثم ضحكنا والتفت الى أمين وقال :

— ان بينهن نساء ذوات حسب ونسب بخشين الفضيحة

فيستترن بهذا الازار حتى لا يعرفن أحد من أزواجهن

— أتظن ذلك ؟

— بل أعتقده وان شئت سردت لك حوادث وقعت لى مع

أمثالهن .

وابتدأ فى سرد قصص كثيرة اندهشت لسماعها وظننت أن ليس

فى مصر من الاسكندرية الى اسوان امرأة عفيفة . فقلت له :

— لاثقة لى بامرأة بعد اليوم

— كل النساء خائبات وعبئاً الثقة بهن

فسكت ولم أنطق بىذ شفة . وما ذا يريد القارىء أن أقول

وصديقى متزوج له امرأة يغار عليها . وكأ أنه فطن لما كنت أحدث

نفسى به فقال وهو يتنسم :

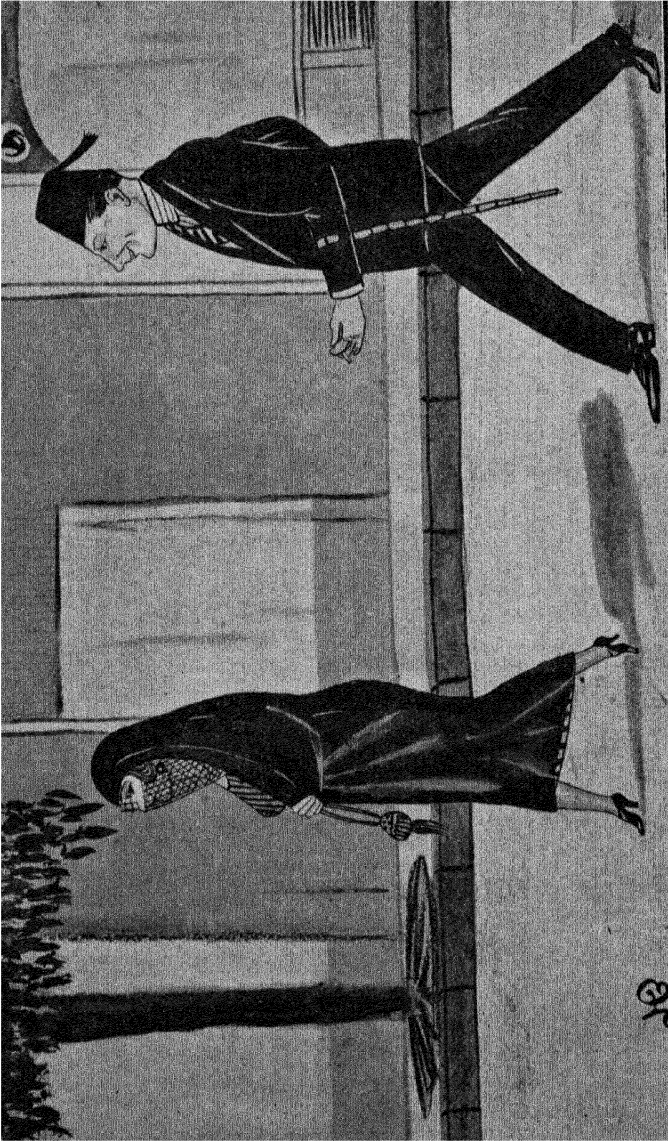
— ما الذى أسكتك ؟ أيدشك أنى أرمى النساء بالحيانة

وبينهن زوجتى ؟ ولكن امرأتى يا صاح فى مأمن من كل ذلك لأنها تعيش مع أمى ، وأمى من النساء اللواتى لا تفلح معهن شدة ولا رجاء .
ثم انقطع حديثنا وقام أمين لمكتبه وابتدأت أن اشتغل قليلاً بعد ان سألت الخادم ان يأتينى بفنجان قهوة

غادرت الديوان وذهبت لأتناول الغذاء فى المنزل ثم خرجت عصر ذلك اليوم للقاء أمين فى «اسبنددبار» . وانتظرته هناك نصف ساعة ثم مللت الانتظار فممت لأمشى فى شارع بولاق . فاذا به يموج بالناس من مصريين وافرنج . ومنهم من يتتبع النساء ومن النساء من يدخلن حانوت «شكوريل» أو «شماله» لشراء حاجياتهن أو بحجة شراء ما تتوق اليه أنفسهن . ثم وقفت أنظر لامرأة مرتدية ازاراً بلدياً وتذكرت حديث أمين فى الصباح وقات فى نفسى ماضرنى لو تبعتها ، وقد أعجبنى قوامها النحيل ولحظها الفاتك . ووطدت العزم على ذلك وما لبثت ان نفذت ما عزمتم عليه

سرتُ وراهها طويلاً الى ان وصلنا الى تلك الحديقة الصغيرة التى يعرفها كل من اعتاد التنزه فى شارع بولاق . وهناك اقتربت منها وقلت لها :

— لقد حق لى ولك أن نستريح فعلام الاسراع ؟



المطاردة الغريبة

٢٨

فنظرت الىّ ولم تجب . ثم سارت في طريقها فقلت لها وقد
شجعتني نظرتها :

— الى أين؟ خفتي من سرعتك أيها الملك الجميل .

فالتفت الىّ مرة ثانية وابتسمت . ثم سارت على مهل فسرت
معها جنباً الى جنب وقرأتها السلام . فقالت :

— علام تقفني أشرى

— لأحظى منك بكلمة واحدة

— لقد سمعت منى عدة كلمات فدعني وسر في طريقك

— ان طريقنا واحد

فابتسمت وقالت :

— يالك من أبله

وتحادثنا طويلاً . ثم سألتها أن نذهب لمصر الجديدة فقبلت
ببشاشة وسرور . ورجعنا أدراجنا الى محطة المترو . وصلنا مصر
الجديدة بعد عشرين دقيقة . ودخلنا لونا بارك وصعدنا على الجبل
الروسي راكبين القطار الصغير . فكانت تمسك بملابسي كلما صعد
بنا القطار أو هبط . وغادرنا لونا بارك فأظهرت لي عند بابه الميل
للعودة الى القاهرة، فقلت لها وأنا أستعطفها :

— علام هذا الاسراع والساعة لم تدق الساعة بعد. أينتظرك
أحد في المنزل؟

— كلا ان زوجي لا يتعشى في المنزل

— فلنقض معاً اذا ساعة أخرى .

وقد قضينا تلك الساعة في مكان يظهر أنها لم تكن تجهله ولم
يكن يجهاها

ورجعنا بعد ذلك وركبنا عربة كانت تنتظر بجوار قهوة البسفور.
ولما وصلنا لميدان عابدين سألتني أن أغادرها هناك فأجبتها لسؤالها
عن طيبة خاطر وأعطيت الحوذى عشرة قروش وودعتها بعد ان
تواعدنا على اللقاء بعد يومين

نم تركتني وسارت في طريقها بعد أن استحلقتني أن لا أتبعها.
ولما كادت أن تغيب عن عيني قام بنفسى أن أعرف أين تسكن
حتى اذا ما أخلفت موعدها معى انتظرتها كل يوم أمام باب بيتها .
ولما اقتربت منها سألت الله أن لا تلتفت فترانى . فاذا بي أراها بعد
قليل تسير في عطفة (...) فدق قلبى دقات متوالية . ثم وصلت
للمنزل رقم (٢٢) والتفتت لئرى إن كان هناك أحد يتبعها ولكنها
لم تتبينني في الظلام لان الشارع لم يكن من الشوارع المضاءة. ودخلت
المنزل فوقفت كالصنم لا أتحرك ثم عدت وأنا كاسف البال .

باللعار لقد ارتكبتُ أمماً هائلاً ولاكنني لم أتعهد ارتكابه .
لقد أصبحتُ حليمة صاحبي خالمة لى . ولاكنها كانت خلية سوای
من قبل

فى الغد ذهبْتُ اللدیوان وجلست بجوار امین وتحدثنا كالعادة
وذهبنا عصرآ « لسبلندبار » وتناولنا العشاء فى « أبليدك » وقضينا
ليلتنا معاً فى ماخور من مواخير العاصمة كأن لم يكن حدث
شئ بالامس

(١٨ يونيو سنة ١٩١٧)



بيت الكرم

بيت الكرم

أسرة مجدى مشهورة فى مصر بالثروة والجاه يؤمها المستغيث
ويقصدها كل ذى حاجة . توفى ربها المرحوم عبد الله بك مجدى
عن ستين عاماً قضاها - كما قالت الجرائد - فى عمل الخير والبر
والاحسان ، تاركا ولدين يبلغ أكبرهما الثلاثين والآخر لا يتجاوز
العاشرة وثلاث بنات أبكار لم تسعد أكبرهن بعد بالزواج
ورث المرحوم عن أبيه ثروة طائلة تزيد عن الفى فدان أضع
معظمها حباً فى الحمر وسعيأ وراء النساء فلم يترك لاولاده بعد موته
إلا ثلاثمائة من الافدنة وعشرة من الرفاق كان ينفق عليهم من حر
ماله وكانوا يقضون معه الليل والنهار ليأتنس بحديثهم ويقتل الوقت
معهم . وأصبح الولد الا كبر - محمد بك مجدى - بعد وفاة أبيه
رئيس اسرة مجدى . وناهيك عن قيمة هذا اللقب فى أعين الرفاق
العشرة بعد أن وجدوا فى الولد خير خلف لابيّه فثقبوه بابن العز
والأمانة ورب البيت الذى لم يفلق بابه فى وجه سائل . ولم يكن
تلقى محمد بك من العلم والتربية ما يلهمه أن يضرب بأقوالهم عرض
الحائط . وأوحى اليه الجو الذى نشأ فيه أن لا يحيد عن الخطة التى اختطها
أبوه لنفسه من قبل . فرحب بالرفاق وجلس بينهم كما كان يجلس

أبوه في صدر المكان وهم حواليه يكاد يدفعهم الخشوع والامتثال
الى الركوع والسجود

نزل محمد بك من الحریم الى (السلملك) وهو مرتد جلاية بيضاء .
مخططة وعباءة من الحرير الابيض وكان عارى الرأس منتفخ
العينين وقد نسج السهر لكل واحدة منهما إطاراً أحمر لوراء
طفل صغير في رابعة النهار لوالى الادبار خائفاً أن ينقض عليه ذلك
البعبع فيهشم عظامه أو يسيل دمه

مشى محمد بك مشية الزهو والتهيميل به الاعجاب بنفسه
ويرنح عطفه احتتاره للناس . ومن مثل محمد بك على وجه البسيطة !
وهو الغنى العظيم ابن الكرم والسيادة وبيته مأوى البؤساء وملجأ
الفقراء . وكان في ذلك اليوم مقطب الوجه عابساً ساهماً وذلك لزيارة
وسيط وافاه في الصباح يطلب يداخته الكبرى لابن أحد البيكوات .
وهل يسمح محمد بك بذلك ولاخته حصه فيما تبقى من تراث أبيه
يصرف ريعها على الحفلات اليومية التى يقيمها كل ليلة في بيته هو
ورفاقه الكرام ، أستغفر الله بل عبيده المخلصون . وصل محمد بك
« للسلملك » وكان الوقت مساء لأن البك لا يفيق من نومه الا الساعة



محمد بك مجدى

السادسة. وكان من عادته النوم بعد الغذاء . ولما دخل غرفة الاستقبال وجد الجماعة في انتظاره وقد تهيئوا للقاءه . فجلس بينهم وهو تائه النظر وقد تعمد ذلك حتى لا يقال إنه يتنازل لرؤية أحدهم . ثم نادى الخادم وأمره أن يجي ، بزجاجات الوسكى . وقام الخادم بما أمر به حتى قيام . وتناول كل واحد قدحه وشربوا فنجب البك

وقام أحدهم واقفاً ، وهو شيخ سكير يناهز الستين كان كاتباً بوزارة (.....) وأحيل على المعاش ولم يساعده معاشه على اقتناء الحجر والقيام بأودامرته فالتجأ لمحمد بك ، وليس شيء أحب لنفس محمد بك من أن يلتجئ إليه من يظهر التفانى في محبته والخضوع لآرائه والحاجة العظمى لماله وطعامه . وكان ذلك الشيخ من أصحاب النكات الظريفة المستملحة يترقب الفرص حتى اذا حانت أرسل النكتة من فمه فتقع في قلب مناظره كما يقع السهم الصائب في ثنايا الصدر . ولم يكن في تلك الحاشية التي جمعها يد المنكر والفساد رجل يحب الآخر فكلمهم متنافرو والمشارب مختلفو الاميال ولم يتحدوا الا على كسب أموال البك حلالا كان ذلك الكسب أم حراماً . قام ذلك الشيخ وقال للبك :

— سيدى وولى نعمتى . هل لديك الشريفة أن تتناول

الكمنجة ...

ولم يمهله البك أن يتم قوله فنهزه قائلاً :

— كفى مجوناً وهذراً ؟

اندهش الرفاق لما فاه به البك لاعتقادهم أنه يجب من
يتغنى بشهرته الواسعة في الكمنجة . اندهش الجميع وسكتوا ولكن
شيخنا الكبير لم يندهش ولم يسكت بل ابتسم ابتسام الفائز وقال
وفي صوته رنة الرجاء والاستعطاف :

— الناس لاتشك في هزرى ومجونى وهم أيضاً لايشكون في
نبوغك وعبقريتك . فهل لسيدى أن يتنازل ويشنف آذان عبيده .

ونظر البك للسماء ماداً يده لوجهة الشيخ
ففظن صاحبنا لما يدور فى خلد البك فمشى على أطراف أصابعه
الى ان وصل لتلك اليد الشريفة وتناولها فى يده وقبلها مراراً وهو
يرجو ويستعطف

فقبل البك رجاءه وشنف آذان رفاقه . ولم يكن حفظه الله
حائقاً على عبده ولكنه كان ممن اذا رجاهم أحد ودوا لو كرر
الرجاء مرات عديدة . وبينما كان البك يشنف آذان رفاقه دخل
عليهم رفيق آخر هلاوا لقدمه وصفقوا . ولكن البك عبس فى وجهه
وصافحه مصافحة جفاء وغضب . فانقلب تهليل الجماعة الى نفور
وازدراء . واستمر البك يضرب الكمنجة ورؤوس الرفاق تميل طرباً

الى أن انتهى فالتقى بها على الخوان ونظر للقدام نظرة تجسم فيها
البغض . وقال :

— ما هذا الجفاء يا سعادة الباشا

فابتسم الحضور لتقريع البك وسكت الرجل . فقال البك :

— علام السكوت ؟ أين كنت وعلام تأخرت ؟

— كانت امرأتى تلد

— لقد وضعت باذن الشيطان كلباً

فقهقه الحضور وتمايلوا بأجسامهم . وكانوا يضحكون ارضاء للبك .

وليس شئ أقبح من وجه من يتضحك . ولكن البك كان يتغافل

عن كل ذلك تغفيلاً لنفسه . وأقسم الرجل ثلاثاً على صحة دعواه

فقال البك :

— أنك تكذب . أنت تنكر النعمة التي أسبغناها عليك

— حاشا لله أن أكون ذلك الرجل

— صه اياك والكلام . انى أعرف أين كنت أمس .

وسكت الرجل وهو برىء لم يرتكب اثماً . وهل في ذهابه

لبيت ابن عم البك مرة في الشهر اثم كبير ؟ ولكن البك كان من

الاعغنياء الذين تشبه أخلاقهم أخلاق النساء . فتراهم يغيرون اذا

ما التجأ أحد حاشيتهم مرة في حياته الى أحد سواهم

وقام الرجل المسكين وقبل أقدام سيده ومولاه فصفتح عنه بعد أن فرض عليه جزية تقبلها الرجل شاكرًا وهي أن يقوم هذا البائس ويقبل أيادي الرفاق أجمعين ثلاثًا بعد أن يصفعه كل واحد منهم مرة . وكيف لا يقبل ذلك الرجل الفقير ذلك وقد وضعت امرأته بالأمس طفلها السادس

ودارت الكؤوس مرة ثانية وثالثة ورابعة وخامسة . ثم قاموا جميعاً وتناولوا العشاء . وعادوا للراحة في غرفة الاستقبال . ولبثوا سكوتاً ، منهم من أسند رأسه على كتف صاحبه مستسلماً للذكرى ، ومنهم من انتهز الفرصة وتناول كأساً من الوسكى دون أن يراه أحد ، ومنهم من جلس يفكر في حيلة يُضحك بها البك لينال رضاه . أما البك حفظه الله فكان كالميت لا يعي شيئاً . وهذا حال كل رجل بدين الجسد إذا أكل ولم يحاذر في أكله

ثم أفاق البك ونادى أحد الرفاق ، وكان فتى في مقتبل العمر جميل الصورة أهيف القد إذا مشى تثنى كما يتثنى الغصن وقد لعب به النسجم . وكان البك يميل لمحادثته على انفراد لعدوثة أفاظه ورقة حديثه فكان لا يصبر على فراقه دقيقة واحدة ولهذا أسكنه في غرفة من « السملك » حتى إذا احتاج لرؤيته لا يلبث أن يراه .

ناداه البك قائلاً :

— أين عودك يا صديقي . أمسك به وشنف آذاننا جميعاً .
فتناول الفتى العود وابتدأ فى الضرب وغنى لحنا تناول البك عند
سماه الكهجة . واشترك فى الضرب والغناء معه . وقام الرفاق برقصون
حتى اذا أعيانهم الرقص جلسوا وهم يصفقون ويميلون طرباً كأنهم
يسمعون « عبده » أو « عثمان » . وعند انتهاء الغناء دخل على الجماعة رجل
يبلغ الخامسة والاربعين يلبس منظاراً اسود يحجب عن الناس ما فى
عينيه من شر وحسد وحققد . وسلم على الجميع بعد أن قبل يدانك .
وقام البك واقنارؤيته وعانقه ، والرفاق فى دهشة . وكيف لا يدهشون
والقادم صعلوك ممن حكم عليهم قديماً بالحبس للتزوير والاختلاس .
وجلس الرجل بجوار البك وأسر إليه كلمات ابتسم لها البك وتملمت
أسارير وجهه . ولما رآه الرفاق بسر للبك شيئاً ابتعدوا قليلاً . فقال
الرجل لسيدة :

— قد انتهى كل شىء .

— كم فى المائة

— ثلاثون

— بورك فيك

وعاد البك للغناء والضرب على الكمنجة والرفاق للرقص

والتصفيق

لم يكن هذا الزائر الجديد الا رسول البك للمرايين لرهن مائة فدان هي البقية الباقية من تراث آبائه . وهل يتسنى لمن كان يمتلك ثلاثمائة فدان أن يعتاد هذا البذخ وهذا الاسراف على جماءة يستأجرهم لتقبيل يده والتغنى بكرمه وجوده دون أن يرهن ما عنده ليقفده صفقة خاسرة .

وهبَّ بعد قليل نسيم عليل ارتاحت له نفس البك فقال

وهو يتسهم :

— لو من الله على بألفى جنيه لكنت اشتري بها منزلا في

رمل الاسكندرية لأقضى فيه فصل الصيف من كل عام .

وتهد البك آسفاً على ذلك المنزل الجميل . فقال أحد الرفاق :

— لا تيأس ياسعادة البك من رحمة الله سوف يمن الله عليك

بما تريد .

ولم تقع هذه الجملة موقعاً حسنا عند البك فغلى الدم في عروقه

وقطب وجهه استياءً ثم صاح :

— يالك من غر أحق بمن لله على ! أتظن أبي فقير أيها المجنون

وحق للبك أن يغضب هذا الغضب الكبير وهو الذي يغيب
الفقراء ويحجى الضعفاء . فقام اليه الزائر الجديد ذو المنظار الأسود
وحاول أن يزيل غضبه . ولكن البك لم يقتنع بشيء وكاد بهم
بضرب من أتهمه بالفقر والاحتياج لمعونة الله . وعزز الرفاق سيدهم
وسقط الرجل في يده وخرج من الغرفة وهو يتعثر في أثواب خيبته .
وجلس البك وهو يرغب ويذب . ثم تناقص غضبه شيئاً فشيئاً الى أن
زال . وعاد الجمع للعزف والغناء والرقص . ودارت الكؤوس ولعبت
الحجر بالرؤوس فكنت تسمع في الغرفة النكات تتلو النكات والشتائم تتبع
الشتائم الى أن تملك التعب على القوم نفوسهم فاستسلموا اليه وسقط بعضهم
على الأرض لاحرك به . واستأذن من تبقى له شيء من قوته نحمله
الى بيته الى أن خلا المكان إلا من النائمين . وكان البك ملقى على
مقعد ويجواره الزائر ذو المنظار الأسود يفتش في جيوبه . ولما انتهى
من عمله نادى ادريس البربري ليحمل سيده الى الحريم



فرغ صديقي من قصته فالتفت الى وهو يقول :

— ماذا تقول في هذه القصة ؟

فتنهدتُ وقلت :

صدق من قال ان شبان مصر الاغنياء لا يعرفون للضجر معنى

فأكرم بهم وأنعم

— هذا طريق واحد من عدة طرق يسلكها هؤلاء الأغنياء.

لقتل وقتهم وضياع ثروتهم

— وهل هناك طرق أخرى ؟

— هيا بنا نخرج لاستنشاق الهواء في الجزيرة وهناك أقص

عليك قصة أخرى . فخرجت معه وكلى آذان مصغية لحديثه

(٢ اغسطس سنة ١٩١٧)



حفلة طرب

حفلة طرب

كنتُ شغوفاً بالحفلات الموسيقية (الكمنير) أيام كنت في باريس لا تفوتني من لياليه ليلة تجمع بين الاناشيد الشجية والالخان الفكاهية والوجوه الواضحة والقودود المائسة والعيون الضعيفة القتالة . هناك كنت أمتع عيني بالجمال الذي صاغته يد الخالق في وجوه الحسان واملأ قابي لذة يمازجها الطهر وأذني ألحاناً جميلة ينفسح لها الصدر

أيام مضت كما يمر الحلم العذب برأس النائم . والآن أنا بمصر محروم من تلك الجبابة المشرقة والوجوه اللامعة والغرر المتألقة والالخان الشجية الجميلة . وما أحوجني الى رؤية شيء منها ان لم يماثلها جمالا وحسناً فلا أقل من أن يكون باعثاً من بواعث الذكري تهيج في قلبي ناراً كاد أن يطفىء أوارها النسيان

جلستُ أمس في مجلس جمع من الاخوان من كانت تتوق النفس للقائه ويتأجج الصدر عطشاً لرؤيته . وكان بينهم صديق لم تره عيني منذ سنين فكنت أجادبه أطراف الحديث وكلني آذان صاغية له . وابتدنا نتحدث الى ان أخرج ساعة من جيبي ونظر فيها ملياً ثم قال :

— هيا بنا لقد دنا الميعاد

فقلت : وأى ميعاد ؟

— أنا على موعد مع أحد الاصدقاء لسماع مغنية جديدة . فهل لك في مرافقتي ؟

فأجيبته لمطلوبه واستأذنا الجماعة ومشيت معه جنباً لجنب
وصلنا الى القهوة ووجدنا على بابها شاباً ينتظر ، قدّمه الى
صديقي ، فابتدرز بقوله :

— نرجع ادراجنا الى منازلنا

فقال صديقي : وعلام ؟

— ان السيدة (. . .) لاتغنى هذه الليلة

وحانت منى التفاتة الى القهوة فقلت :

— ولسكنى أرى سيدة جالسة على (التخت)

فقال الشاب :

— يا للعجب لقد تأخرت اذاً عن ميعادها ربيع ساعة .

فقلت لنفسي وانا ابتسم (يا للعجب أول القصيدة كفر) .

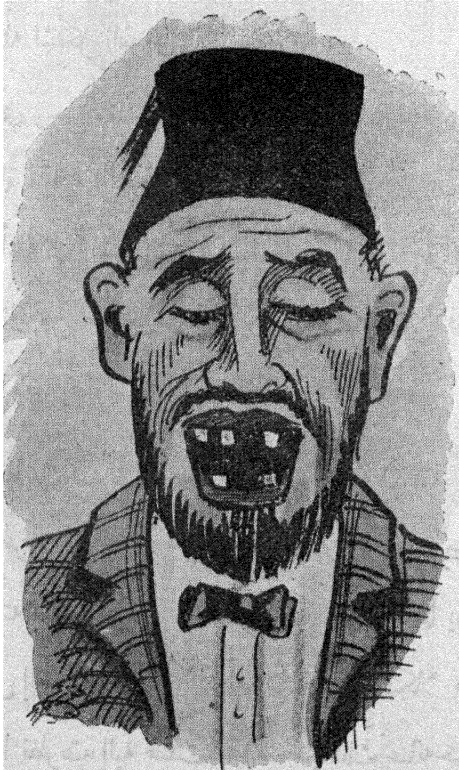
وابتعدنا تذاكرنا ودخلنا القهوة ونحن نتسابق لسماع المغنية . وأخذنا

مجالسنا بين الجمهور وجلسنا وكان على رؤوسنا الطير

القهوة فسيحة الأرجاء، جمعت من شتات الناس المطربش
والمعتم ولا بس الجلالية الزرقاء، جماعة مختلفي المشارب خارج القهوة
متحدى الأميال فيها تعوزهم ريشة المصور لترسم للناس الصور



المضحكة المبكية التي تبدو على وجوههم . ثم نظرت لجماعة المغنين
وضحكتُ حتى كدت أن ألفت أنظار الناس لولا اندفاعهم لرؤية
وجه المغنية الفاتنة التي كانت تبسم للجميع ونحيبهم أجمل تحية .
المغنى الاول شاب اسود البشرة يظهر لى أنه من أم زنجية



﴿ المغنى الثانى ﴾

وأب مصري أو أنه نوبى من أهل أسوان أو عامل من عمال العنابر فى مصر . له أنف طويل يكاد يلتطم مع شفته العليا وعينان سوداوان . بهما جمال عبثت به يد السهر والخمر وشارب قصير كركيش فرشة تنظيف الأسنان . وكان مرتدياً بدلة بيضاء وبها بقع سوداء . فما أقرب شكله لشكل الفرس الأبلق .

والثانى رجل مغلق الأجفان يجتهد فى فتحهما كلما دعتة الحالة فتعييه الحيلة . له فم اذا فغره خلته بئراً وأذنان كبيرتان وذقن طويلة تهتز مع رأسه كلما أنشد كأنها تسأل الناس المعونة والأجر . فما أشبهه بحلاق من جهة سيدنا الحسين أصيب بالعمى فجاء ليرتق فى قهوة عمومية

أما الثالث فكان رجلاً مرتدياً جلابية بيضاء وحزاماً من المناديل الحمراء الكبيرة وجبة زرقاء وطربوشاً من غير (خوصة) . لم يخلق لحيته منذ أيام فظهرت شعورها فى وجهه كما يظهر النجيل فى الارض القحلاء . وكان اذا أنشد أخذ فمه شكلاً هندسياً يشبه المعين . اذا نظرت اليه ظننت انه (منجّد) ملك عنانه حب الغناء فأتى الى القهوة ليشنف آذانه ودفعه ذلك الميل الغريزى لامطاء الدكة

المعدة للمغنين فجلس عليها يساعد الجماعة على اخراج الأغاني



﴿ المغنى الثالث ﴾

أما الرابع فهو شاب نحيف الجسد أسمر اللون لا تفارق عيناه أديم الأرض ولعله من المصايين بداء الحياء الشديد. ولهذا لم يتيسر لى أن أتفرس في ملامح وجهه لأصفها للقراء . فهو رجل كما تقول العامة في (حاله) ولهذا ندعه في حاله .

أما الخامس فهو شيخ أحنث الايام ظهره فاصبح كالقوس . يداعب المغنية من وقت لآخر ولا أدري لماذا . له طربوش تظهر منه شعور كتلك الشعور التي أبقته يد التحنيط على رؤوس الجثث المحنطة في دار الآثار المصرية، مرتدياً بدلة بحار فكر الناظر أمامها . فمن قائل أنها بدلة عادية ومن قائل أنها رديجوت قصيرة ومن قائل أنها من نوع جديد سوف يحدو على منواله كل حائك في مصر فلا تلبث ان تصبح الموضة المصرية الجديدة بعد أن انقطعت عنا في أيام الحرب موضة باريس . وهو أشبه الناس بكتاب الدوائر الكبيرة .

وأما حامل العود فهو رجل بدين الجسد له وجه منتفخ تغار فيه عيناه البراققان . تظهر عليه بمض مخايل الوجاهة ولا أدري لماذا . ولعل ذلك لأنه حامل العود ، والعود سلطان الالات الغنائية . وأما حامل القانون فهو شاب جميل الصورة أسمر اللون حسن الهندام يظهر عليه انه كان غنياً ثم أناخ عليه الدهر بكل كاه . اذا لمست يده أوتار القانون اهتز جسمه بأجمعه مع اهتزاز النغمات وتفصلت شفنتاه

وتقطب وجهه . فكأنه يبكي أيامه الماضية وثروته البضاعة
وأما حامل الكعجة فهو شاب فى ريعان الشباب أصفر الوجه
له شارب طويل يرتفع طرفه الايمن الى أعلا وينخفض طرفه الايسر
الى أسفل . وجه ايس فيه شىء من التناسب بين طوله وعرضه
وجبهة خليقة بأن تكتب عليها بالثلاث عناوين الادوار . فما أشبهه
بمحررى بعض الجرائد فى مصر

أما الاخير فهو يافع لا أدرى لما ذا أتوا به . يذكرنى بياض
آخر كان يمر على قهاوى العاصمة ليبيع السجائر (الفنزية) التى
إذا أشعلتها طار منها شعاع يخيف الاطفال الصغار .

أما المغنية فهي امرأة ذات جمال أغريقى فى نحو الثانية والثلاثين
من عمرها . قصيرة القامة نحيلة الخصر وضاحة الطلعة سافرة الوجه
مرتدية ملابة سوداء تصل أطرافها الى ركبتيها فتزيدها رقة وحسناً .
لها فم جميل لا تفارقه الابتسامة فكأنما تتساقط منه زهور
الترجس والورد . ولها شفقتان تتعدد أشكالهما كلما غنت فتارة تظهر
عليهما صورة الاستعطاف وطوراً صورة الاعراض وأنا صورة الخنو
والامثال وآونة صورة التيه والاعجاب . تغنى ثم تضحك وتضحك
ثم تغنى . وتبتسم ونخجل . ولا أدرى لماذا نخجل ولماذا تبتسم
ولماذا تضحك وان كنت أعرف لماذا تغنى .

ويخيل لي انها اذا خلعت ازارها الاسود وجلست لتحادثك
خارج القهوة وهي جادة في قولها يذهب عن وجهها ذلك الجمال
الساحر والدلال القاتل . يشفع ابتسامها الجميل في ضعف صوتها .

اتهى الغناء وخرجتُ مع صاحبي فسمعت عند باب القهوة
رجلا يقول :

— هذا غناء يتخلله ضحك وابتسام

فقلت في نفسي :

— لقد أخطأتَ بِاصح هذا ضحك وابتسام يتخللهما غناء

(اغسطس سنة ١٩١٧)

صفارة العيد

صفارة العيد

العطفة التي نتكلم عنها طويلة ضيقة خالية من الأرصعة بتدىء
بحائط سميك وتنتهى عند الشارع الكبير حيث ترى على يمينها
قصرأ فخماً يخاله الناظر سجنأ أعد للمجرمين وعلى شمالها قبرأ للشيخ
وهى تقف أمامه الرجال والنساء يقرأون الفاتحة وهم ينظرون للسماء
نظرة رجاء وابتهاال ثم يمسخون وجوههم بأيديهم ليتم الله نعمته
عليهم . واذا سرتَ فيها فبلغت منتصفها وجدت (أم مليم) بائعة
الطعمية والسلطة والسكرات جالسة القرفصاء أمام حانوتها المكون
من قفص تعرض عليه ما تبيعه اسائق عربية (الكارو) ولابن
السبيل والفاعل . واذا اقتربتَ من بدايتها أى من الحائط السميك
الذى يقف فى وجه المارة لينعمهم من المسير وجدت شجرة كبيرة
يتفياً ظلها كل من تعب وتملكه الأفضاء . أما اذا أسرع فى
سيرك خشيت أن تعثر فى هاوية صغيرة أو تل لا يزيد ارتفاعه عن
عشرة سنتيمترات أو فى القاذورات التي تلقى بها أيدي المارة بلا
خوف ولا حذر . أما القصر فهو لأحد البشوات الذين أبوا أن
يهجروا الحى الذى نشأ فيه أجدادهم . وهو قصر كما قلنا عظيم
يجلس على بابة الخصى واضعأ رجلا على رجل وممسكاً بمسبحة يستمعين
بها على قتل الوقت حتى لا يشعر بسأم ولا ملل . وهو شيخ فى

الخامسة والخمسين من عمره . له شفاه تشبه قطع (البفتيك) التي تقدم لك في مطاعم العاصمة ، وعينان يزداد احمرارهما كلما (أخذته الجلالة) فنطق باسم الله العظيم ، وأنف أفتس كأنه ضفدعة وجدت في وجه الخصى منبتا حسناً . وكان طويل القامة ضخم الجثة اذا مشى اهتز كما يهتز الفيل

نحن في اليوم الأول من أيام العيد والناس في هرج ومرج والأطفال يلعبون في الشارع وقد أمسكوا بالأعيهم وارتدوا ملابسهم الجديدة وتسامروا وهم يضحكون ويقفزون . والآباء انشروحت صدورهم ومشوا في الشارع وهم يقولون بعضهم لبعض (كل عام وأنتم بخير) . وكان بين الأطفال طفل نحيل الجسم أصفر الوجه ينظر لرفقائه نظرة تعبر عن غبطة لهم وعن رثائه لنفسه لحرمانه من سرورهم وسعادتهم . وكان خجولاً من لباسه القدر وأقدامه الحافية . يقف بجوارهم ثم يضع يده على كتفهم ويبتسم كأنه يسألهم السماح له بمشاركته اياهم سريراً . ويد وليس في ذلك بأس عليهم وهو طفل مثلهم يبكي اذا أمّ به ضر ويضحك أن نال ما تصبو اليه نفسه . وأنى له أن ينال بغيته ، وهو يتيم توفيت أمه بعد ولادته بخمس سنوات ومات أبوه بعد وفاتها بعامين فعاله عمه . وأبن حنو زوجة

العلم من حنو الام ! مشي الأطفال الهويننا ثم غادروا العطفة
وتواعدوا على العدو في الشارع الكبير . وجروا فيه أشواطاً عديدة
فسقط أحدهم على الأرض . فأسرع اليه رفقاؤه وهم يضحكون كما
تفرد العصفير وعاونوه على النهوض من سقطته فقام وهو كالح
الوجه كاسف البال وقد جال الدمع في عينيه . ولكنه لم ينس أن
اليوم عيد وأن البكاء محرم فيه وأن السرور فرض . فما لبث أن نسي
سقطته وتناسى آلامه وجرى خلفهم الى حيث كانوا يقصدون .
أما اليتيم فلم ينس آلام نفسه تلك الآلام القاتلة التي كانت تدب
في جسمه فتطفئ نوره وتذهب بجماله وروائه .

ثم غادر الأطفال الشارع الكبير ومشوا في العطفة وهم
يضحكون وينشدون الأناشيد الصبيانية الى أن وصلوا للشجرة
الكبيرة وهناك صاح أحدهم :

— لقد ابتعدنا عن الشارع الكبير وهناك تمر الباعة . فيها بنا
نعود من حيث أتينا .

وتسابقوا وقد علا صياحهم في الفضاء

ومرت في الشارع الكبير في تلك الساعة عربية (كارو) وقد
ركب عليها سائقها وهو شاب يشبه جسمه المكعب . له رأس لها
أربع أركان يشبه مسطحها المربع . ألهب السائق جواده وهو يعنى

أنشودة بلدية جميلة (أسمر سمر مر صغير السن لوعنى) . ولما اقترب من الخصى قرأه السلام بصوت جهورى فرد عليه الخصى السلام من أطراف شفتيه وهز رأسه كأنه يأسف على تدهور أخلاق السوقة . وعادت الأطفال فى تلك الساعة من الشارع الكبير الى العطفة وهى ملجأهم الوحيد وفى يد كل واحد منهم صفارة اشتراها من بائع يجول فى الطرق . وابتدأوا ينفخون فى صفايرهم ويفنون . وتلك لعمرى موسيقى تبعث السرور فى القلوب وإن كانت غير شجية لتنافر نغماتها . وقف اليتيم معهم وقد أشجته تلك الموسيقى الجميلة واقترب من رفقاته وهم يرقصون ثم رقص معهم اذ لم يكن فى وسعه أن يفعل غير ذلك . فنظر اليه أكبرهم سنًا وقال له يملء فيه :

— أين رداؤك الجديد يا على ؟

فلم يجب اليتيم وضحك الآخرون . وقال ثان :

— أين صفارتك أيها الصديق ؟

وقال ثالث :

— كفاكم رقصاً ولنصفر جميعنا . لبرقص من ليست معه

صفارة

ونكن اليتيم لم يكف عن الرقص وقد عزّ عليه أن لا يترنح

معهم وضرب صفحاً عما سمعه كأن لم يعرض به أحد .
وفي تلك الساعة مر استاذ قصر القامة طويل اللحية يسير
الهُوينا في طريقه وهو يداعب لحيته بيده اليسرى ومسبحة بيده
اليمنى . فهرعت الأبناء للقائه وهم الخصى واقفاً ثم مشى وقبل يده
بينما كان الآخرون يقبلون أطراف جيبته . أما الشيخ فهو رئيس
الطريقة النقشبندية وهي طريقة تحتم على أشياء أن يذكر كل واحد
منهم لفظ الجلالة مرة في كل عشرة دقائق . توفي شيخها القديم
منذ خمسمائة سنة بعد أن نقشت التموى على صدره اسم الجلالة
ولهذا سميت طريقته باسم النقشبندية .

ثم مر بائع الحلوى فهرعت اليه الأطفال وجرى معهم اليتيم
ولكنه كان في مؤخرتهم فمد اليه أحدهم قطعة من الحلوى قائلاً :
— خذ

فأشار علي رأسه رافضاً واستكبر الآخر منه ذلك فألقى بقطعة
الحلوى على الأرض فالتقطها اليتيم وأعطاهما لكب جائع كان
يصبص له بدننه . وغادر اليتيم رفيقه وقد ارتسمت على وجهه
صورة البؤس ممزوجة بصورة عزة النفس ولحق برفقائه وهو وحيد .
القلب وان كان كثير الرقعا . أما رفيقه الذي أعطاه قطعة الحلوى
فقد شهي وهو مهز كتفيه ويصعر خده أنفة واستكباراً .

ثم حانت التفاتة من الأطفال الى الشارع الكبير فوجدوا محموداً (الفتوة) قادماً عليهم فصاحوا جميعاً (محمود السبع حضر . محمود السبع حضر) وصفقوا بأيديهم فابتسم لهم محمود وكان (فتوة) عطفهم وسار في طريقه على مهل ساحباً أذيال الخيلاء وملوحاً بعصانه في الهواء كما يلوح الغارس بسيفه . وكان ضخمة الجثة قوى العضلات له في المشاجرات القسط الأوفر والفوز الأكبر . مشهور بين فتوات العطفات الاخرى ولذا لقب (بمحمود السبع)

نظر اليه الخصى نظرة امتهان وامتراض فقهه محمود ضاحكاً حتى استلقت أنظار المارة . وبصق الخصى على الأرض وكان هذا أكبر مجهود يقدر على فعله لأهانة محمود . ثم صاح أحد الأطفال :
— المصارعة . المصارعة خير مما نفعل . ومن يتفوق على

نظيره يأخذ صفارته مكافأة له على قوته وشجاعته

فقال الآخر :

— وليكن محمود السبع حكماً بيننا

فقال محمود :

— بلا شك

وقال رابع :

— ولكن علينا (اليتيم) لا يملك صفارة .



من أجل صفاة العيد

فصاح الطفل الذي رمى اعمى بقطعة الحلوى :
— سأصارعه فان تفوق على أعطيته صفارتي وان تفوقت
عليه صفعته على وجهه أمام الجميع

فصفق الاطفال استحساناً وقطب على وجهه وشمر عن ساعده.
فكنت ترى عند التحام جسمه بجسم رفيقه صورة غريبة ارتسمت
على وجه كل واحد منهما . الاول يدافع عن صفارته والثاني يدافع
عن شرفه . والفرق بين الصفارة والشرف كبير . وتغلب على على
رفيقه وألقى به على الارض وهو ممسك بتلابيبه . وفرق بينهما
الرفاق فقام على وهو رافع الرأس وقال :

— أين الصفارة ؟

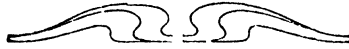
فقال محمود السبع للمغلوب :

— اعطه الصفارة .

ثم أدار وجهه عن الاطفال وذهب للقاء صاحب له . فأخرج
المغلوب صفارته من جيبه بعد تردد ومد يده الى عدوه فأخذها
على ووضعها في فمه كما يضع الظمان حافة الكأس الثلج بين شفتيه
وكانه امتلك العالم بأجمعه . وما لبث قليلا حتى ضحك الحاضرون
ضحكة استهزاء وسخرية وكيف لا يهزؤون به ولا يسخرون منه
وهو ينفخ في صفارة لم يشترها بماله . فألقى على بالصفارة على

وجودهم وسار على مهل وهم يصفقون خلفه . وابتعد عنهم فلم
يشاءوا أن يتبعوه خشية أن يفارقوا نهاية العطفة حيث يكثُر
الباعة فسار اليتيم الهوينيا الى أن وصل للشجرة الكبيرة وهناك
وقف هنيهة كأنه يفكر ثم جلس في ظل الشجرة وقد أسند ظهره
الى ساقها ونظر جهة اليمين وجهة الشمال فوجد العطفة ففرت كقلبه
فوضع رأسه بين يديه وبكى وهو يقول : (أماء . أماء . أبتاه) بينما
كانت الاطفال تغنى في الشارع الكبير

ثم أفاق بعد هنيهة فوجد الكاب الذي ألقى بقطعة الحلوى
اليه جالسا عند رأسه يلحس دموعه باسانه الظامى .
(أغسطس سنة ١٩١٧)



رَبِّي لِمَن خَلَقْت
هَذَا النِّعِيمَ؟

رَبِّي مَنْ خَلَقْتَ هَذَا النِّعِيمَ؟

(هذه القصة لموبسان الكاتب الفرنسي الشهير بدّل المغرب
أشخاصها وزمانها ومكانها وموضوعها ممصراً كل شيء ، فيها فلم يبق
من الأصل الا روح الكاتب واتباع المغرب في ذلك خطة تولستوى
في قصصه التي نقلها عن موبسان)

محمد بك عبد القادر رجل في الخامسة والخمسين من عمره أفتى
الأنف أسود العينين مقرون الحاجبين يقص شاربه ويعفو عن لحيته .
إن مشى يسير الهويناء وان جلس يتربع على كرسيه بعد أن يخلع
خفيه . يرتدى الرذنجوت ولا يحب سواها من الملابس الأفرنجية
لأنها أقربها شكلاً لمظاهر الصلاح والتقوى . مسلم في كل أقواله
وأفعاله يذب عن الدين كلما تعرض له ملحد لا يتقى الله في دينه ولا
دنياه . ويدافع عن حجاب المرأة في كل مجلس يتناقش فيه أصحاب
مذهب السفور مع المحافظين على العوائد والتقاليد القديمة . وان
رأى شاباً جالساً في حان يتعاطى كأساً من الخمر وقف في مكانه
كالمصوق ثم بصق على الأرض ومشى في سبيله وهو يرتل آيات
القرآن . له في بنك السكرىدى ليونيه عشرون ألفاً من الأصفر

الرنان لا يتعاطى عنها فائدة متبعاً قوله تعالى (وأحلّ الله البيع وحرم الربا) .

يسكن محمد بك في قصر جميل على ضفاف النيل تحوطه حديقة غناء تمايل أشجارها كلما داعبها النسيم وتسمع فيها تغريد الطيور ممزوجة بألحان أمواج النيل . تلك موسيقى جميلة هادئة كأنها صوت الحب في آذان العاشق اليأس . وإذا ظهر الشفق خلف النخيل وارتدت السماء ثوبها الأحمر قبيل الغروب خيل للناظر أن هذا الاحمرار هو دموع الليل يودع النهار . وإذا بزغ القمر في القبة الزرقاء في ليلة من ليالي الصيف ودّ صاحب البيت أن لا يفارق الحديقة حتى مطلع الفجر . هذا هنا ، كبير جاد به الله على هذا الشيخ الصالح مكافأة له على عبادته وصلاحه فهو به قرير العين مثلوج الفؤاد تلوح عليه أريجية السرور كلما ذكر الله ، ويلمع في غرته نور البشر كلما صلى على نبيه

لم يرزق محمد بك عبد القادر الا بفتاة جميلة الصورة حلوة الحديث غضة العينين كأنها نرجسة جميلة في حديقة الشعر لا يقف أمامها الا كل شاعر كبير الخيال بديع التصوير . ولقد بلغت تلك الفتاة العشرين منذ أيام . وفكر أبوها كثير في أمر زواجها . وحادث زوجته في هذا الشأن مراراً وعدد لها أسماء كثيرة من الشبان الاغنياء

المتعلمين الذين يتطلعون لهذا الزواج المبارك . واتفقا على شاب
وجدا فيه ضالتهما المنشودة . وحادثت الأم ابنتها عنه فأبدت البنت
نفوراً من ذلك الشاب . فأخبرت الأم زوجها بما كان بينها وبين
ابنتها فاستأ. لتلك النتيجة ولكنّه اختار شأاً آخر لم ترفضه الفتاة
بل رفضت الزواج كلية . وعزّ على أبيها ذلك الرفض وقامت بنفسه
قيامه عصيان البنت لأوامر أبيها فهددها ما شاء وشاء. تعصبه
وتفانيه في حب كل عقيدة قديمة صالحة كانت أو فاسدة . وأصر
على زواج ابنته بالفتي الاول وأبلغها ذلك الحكم الصارم بشدة لم
تعدها فيه من قبل ، قابلتها بالصمت والبكا

لم يرق في عين الام أن ترى ابنتها تبكي وتنوح وهالما أن
ينبو الفراش عن جسم تلك الفتاة الخروود وأن يطيش سهمها
ويخيب رجاؤها وتقف آملها على شفا اليأس . خلت الأم بابنتها
في صبيحة يوم من الايام بعد أن خرج والدها للقاء أحد اصحابه
وحادثتها في شأن زواجها بعد أن أقسمت لها أنها ستكون ساعدها
الأقوى وعضدها أمام تعسف أبيها وظلمه . فبكت الفتاة وأنت
وجئت أمام امها تسألها الرحمة والمعونة

علام تبكي هذه الفتاة؟ ولماذا تستعطف؟ وأى باعش يهيج

في قلبها تلك النار الكامنة ؟ كل فتاة تحب الزواج وتبحث عن شاب جميل وغنى ، والشاب الذي انتخبه لها أبوها حسن الأخلاق كريم العنصر باذخ الشرف منيع الساحة جميل الصورة كثير المال فلماذا تأبى الزواج به ؟ اهل في الامر سر آخر !

هذا ما كانت تقوله الام لنفسها وهي تمسح دموع ابنتها . ولما هدأت الفتاة قليلا قالت لها بصوت تمازجه الشفقة والحنو :

— انى أعدك يا ابنتى أن لاتتزوجى هذا الشاب بل أعدك أن تتزوجى الشاب الذى تصبو له نفسك . فمن يكون هذا الشاب ؟ فنكست الفتاة رأسها وابتسمت ابتسامة باحت لامها بسرها الدفين فقبلتها امها وقالت :

— ومن هو ؟

فلازمت الفتاة الصمت وأسندت رأسها على كتف أمها ولم تشأ الام أن ترهق الفتاة بالأسئلة فاكتفت بما عرفت

وعاد محمد بك الى منزله وخلت به زوجته ورجته أن يؤخر هذا الزواج المشثوم فأصر على عناده . فلم تجد الأم بابا من أبواب الرجاء والاستعطاف الا ولجته . ولكن البك عز عليه أن يقهر فى

هذا الميدان وقد جهل أن خذلانه أكثر شرفاً من انتصاره . ونظر
الى زوجته وقال :

— لعلمها تهوى فتى تود الاقتران به ؟

فقالت الام وهي غاضبة :

— واذا كان الامر كذلك فأى ضرر يلحق بنا ؟

— أى ضرر يلحق بنا ! انك تلعبين بالنار أيتها المرأة . انى

أحرم على هذه الفتاة ان ترى نور السماء . سوف أعمل على سجنها

وسوف تعيش راهبة مادمت حياً

وخرج من الغرفة وهو كالمجنون ونادى فتاته فاتته ملبية طائعة

فابتدرها بالشم والسباب وكاد أن يضربها لولا وقوف زوجته فى

وجهه . وغادر البك المنزل وهو هائم على وجهه

* * *

مضى على هذا الحادث شهران لم يحدث فيهما شىء جديد .

وخيم السكون على هذا المنزل فكان البك هادئاً ساكناً لا يلفظ

بكلمة تشير للموضوع القديم ولكن نار الغيظ كانت تتأجج فى

قلبه . وكانت زوجته هادئة ساكنة أيضاً ولكنها كانت تتألم خفية

لآلام ابنتها . أما الفتاة فكانت تبكى آناً ليلها وأطراف نهارها

وتتوجع سرّاً دون أن تبوح لاحد بآلامها . لقد كان لها بارق من
المنى كذب برفقه وعارض من الآمال أخلف وذّقه فسلام على ماضى
هناؤها وسلام على رجائها وآمالها

وفي ذات ليلة تعشى البك كهادته وشرب فنجانين من القهوة
ثم دخن سيجارة وابتدأ فى صلاة العشاء ولم يفارق سجاداته الا بعد
ساعتين قرأ فيهما أربعين ورداً . ثم قام وتمشى فى المنزل قليلا ودخل
غرفة نومه لينام . وحاول النوم ساعة من الزمان فلم يفلح فخرج الى
الحديقة دون أن يعلم بخروجه أحد .

تمشى البك فى الحديقة ونظر الى السماء نظرة ابتهال وخضوع
فوجد القمر لامع الصفحة والنجوم زاهية فقال مخاطباً ربه : (ربى لمن
خاقت هذا النعيم ؟) . ثم نظر للأشجار فوجدها تمايل يمنة ويسرة
وقد هب نسيم عليل يحمل اليه شذى الورد وعبق الياسمين فقال
مخاطباً ربه : (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) . ونظر للنهر فوجد أشعة
القمر الفضية تلاعب أمواج النيل ورأى قاربا يحمل قوماً يغنون
ويضحكون وسمع فى تلك الآونة نشيد طائر يغنى فى جوف الليل
البهيم فقال مخاطباً ربه : (ربى لمن خلقت هذا النعيم ؟) . ثم جالس على
كرسى ونظر لكل شىء ، هذه الصورة الطبيعية التى رسمتها يد
الخالق على صفحة الوجود ، لهذا الجمال الذى يكشف الستار عن

عظمة الخالق وقوته وشقيقته وحنوه ، لهذه الجنة التي هي مهبط الحب وخلوة اللذة والنعيم فقال مخاطباً ربه : (ربي لمن خلقت هذا النعيم؟). ثم تذكر أيام كان شاباً يخفق قلبه لرؤية الغيد فأغض عينيه ورتل آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ثم فتح أجفانه وقال : (ما تلك إلا جنة ...) ولم يدر أى كلمة يتم بها جملة فوقه وهو حائر الطرف وإذا به يرى تسبحين يسيران نحوه فاختنى وراء شجرة كبيرة تحجب جسمه عن الناظرين ودق قلبه دقات متتابعة وقال لنفسه : (من هو هذا الغريب الذى يجسر على التنزه فى حديثى قبل منتصف الليل)

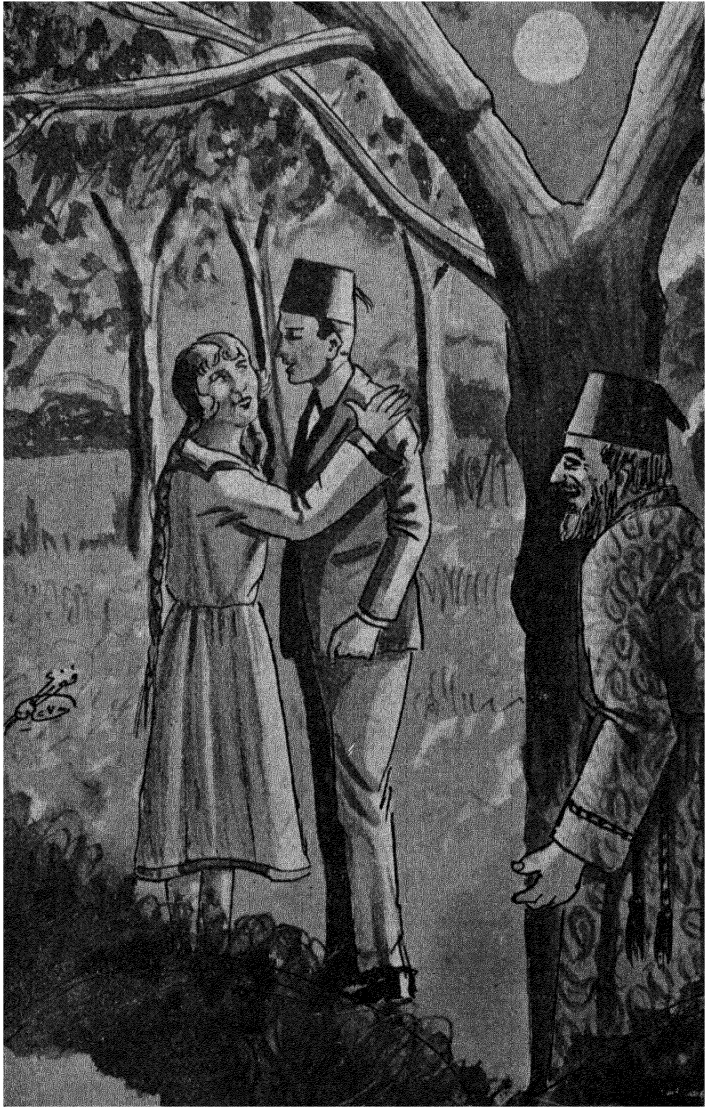
واقترب الشبحان منه فتفرس فيهما فاذا به يرى ابنته تسير بجوار شاب جميل الصورة وقد أسندت رأسها على كتفه . عرف البك الشاب بعد ان تفرس فى وجهه وقال لنفسه : (هذا هو الشاب الفقير الذى كان يسكن بجوارنا أيام كنا نساكن بالحزواى) ووقف الشبحان وتحادثا على مسمع منه ، فقال الفتى :

— أنا مرغم على تركك يا حبيبتى وانى أقسم لك أنى سأبقى

على عهد حبي الطاهر الشريف الى أن يضم عظامى القبر .

فأجابته الفتاة :

— وأنا أقسم لك على ذلك



وقبلها الفتى في جبهتها وسار معها متخذاً وجهة السور ليعود
أدراجه الى منزله .

خرج البك من مخبأه وهو ساكن صامت ومكث هنيهة يفكر .
ثم نظر للسماء وللنهر وللأشجار ، لهذا الجمال الطبيعي ، لهذه الجنة
الدينيوية ، لهذا النعيم الحيوى وقال لنفسه بعد أن فكّر قليلا فيما
رآه وفيما سمعه : (ربى انك خلقت هذا النعيم المحبين واعمرى
ماتلك الاجنة الحب) . ورتل آيات من القرآن ودخل الى منزله وقد
علت شفثيه ابتسامة تعبر عن هنائه وغبطته

مضى على هذا الحادث شهر من الزمان أقيمت في نهايته حفلة
قران الفتاة الغنية بالشاب الفقير . وما كانت تلك الحفلة الا رمز
لانتصار الحب الطاهر على كل شىء .
(اكتوبر سنة ١٩١٧)

كان طفلاً
فصار شاباً

كان طفلاً فصار شاباً

أحمد محبوب يبلغ من العمر عشرين عاماً . ألقى الأنف أسود العينين مقرون الحاجبين وضاح الطامة جميلة الصورة طويل القوام . إذا رآته النساء نظرت إليه بطرف خفي ، وإذا رأى النساء مشى مشية التيه والدلال . أبوه من أغنياء القاهرة يملك ألف فدان من أجود أطيان الوجه البحري والقبلي ، وأمه من عائلة عريقة في الحسب والنسب لا غبار عليها . رباه أبوه تربية مصرية بحتة فنشأ يخاف أباه ويخشاه ولا يجسر على محادثته . واختلط بفئة ضيعة تعلم منها لعب الميسر وولع به ولو عاً أنساه كل لذة في العالم . وكانت له مربية تبلغ من العمر الخامسة والأربعين ربه صغيراً من يوم أن بلغ الخامسة ، وكان عمرها في ذلك العهد خمساً وعشرين عاماً . وكانت قد طُلقَت من زوجها وهو رجل كان معاوناً في إحدى زراعات الدومين . ومحبوب يحب مربيته ولكنه لا يخشاها . يهزأ منها إذا أغضبتة ثم لا يلبث أن يسترضيها فتنسى أساءته وتقبله وتضمه لصدرها ضاحكة مستبشرة .

لقد بلغ محبوب العشرين ولكنه لا ينسى أيام كانت تضربه مربيته وهو طفل إذا هفا هفوة أو ارتكب اثماً .

أينسى يوم أن تسلق شجرة النبق في الحديقة وكاد أن يسقط على الأرض . لقد أمسكت به مريته والمصا في يمانها تقرعه بها ناهية إياه أن لا يعود لما فعل . وهل ينسى يوم ان مكث في الفناء يلعب ويمرح وكان الوقت ظهراً ففهام السقام عبد الرزاق عن ذلك فشمته ورفسه برجله الصغيرة . انه لا ينسى ذلك اليوم وقد لطمته مريته على وجهه وهى تؤذبه على ما فعل . وهل ينسى يوم ان التقط من الأرض سيجارة أليه وأراد أن يدخلها فرأته مريته من النافذة ونادت به فهمم بالهرب وأبى الدخول للمنزل الى أن حمله الحصى وأتى به اليها لينال جزاءه . انه لا ينسى كل ذلك . وان للطفولة حوادث تبقى مرسومة في رؤوس الشبان والرجال الى الابد

وكان القصر الذى يسكن فيه محبوب وعائلته فى حى من الأحياء الوطنية ذوات الشوارع الضيقة . وكانت تحوطه عدة بيوت صغيرة لا أقوام من بيئة ليست بالغنية ولا بالفقيرة . وسكن أمام قصر محبوب رجل تاجر حسن السيرة له زوجة وبنت تبلغ الخامسة عشرة وولد يبلغ العشرين يساعده فى ادارة حانوته .

وكانت تشغل زوجته طول نهارها فى أعمالها المنزلية وتساعدتها بنتها من وقت لآخر . واذا ما خلت البنت بنفسها جلست أمام

النافذة التي تطل على غرفة محجوب تنتظر إياها من المدرسة . فكان إذا ما دخل غرفته أشارت إليه بالسلام ويبتدآن في المغازلة . ففي ذات يوم دخلت عليه مربيته فوجدته يشير يميناه للفتاة فنظرت إليه نظرة ريبة وامتعاض ثم تركته وخرجت من الغرفة دون ان تنبس بكلمة . ولم يعر محجوب ذلك الحادث اهتماماً وانقضى اليوم على صفاء . ولكنه لاحظ بعد ذلك ان مربيته تكثر من الدخول في غرفته ساعة إياها من المدرسة كأنها تود أن تمنعه عن محادثة الفتاة . فساء ذلك منها وود أن تكف عن مراقبته فعمد الى حيلة ناجعة . فكان اذا عاد من المدرسة أحكم اقفال باب غرفته بالمفتاح ليفعل ما يوحيه اليه هواه

واهدت مربيته لسر حيلته فدقت على بابه بيدها ففتحه لها بعد ان أشار لفتاته أن توارى . ودخلت المربية ووجدت نافذة الفتاة خالية فا بتسمت ابتسامة الهازي، وقالت له :

— لقد طار العصفور من القفص

— وماذا تقصدين من ذلك ؟

— انك يا ولدى تسيء لنفسك . أنسيت أن الحب يشغل

المرء عن اداء واجباته .

— انى حريص على أدائها فدعى اللوم جانباً

— يالك من غر أحمق

— انى أكره أن يسبنى أحد

— ولكذك ترتكب المعاصى على مرأى من الناس . ألا

تخشى أن أخبر أباك بما تفعل ؟

— أبى لم يخرج من غرفته بعد فهل لك أن تذهبي وتقصى عليه ذلك

— سأفعل

وخرجت وهى غاضبة . وخاف محجوب أن تخبر أباه بهواه .
فلما دنا وقت العشاء أبى أن يأكل مع أبيه فادعى المرض ونام وهو
جوعان .

ثم مضت أيام وهو يسأل نفسه عن سر مراقبة مربيته له فلا
يهتدى إلى شىء . انه لم يلاحظ شيئاً فى حركاتها ولا فى سكناتها
فعلام لا تتركه حراً يفعل ما يشاء وليس فيما يفعل ما يدعو للخوف
والحذر . وعلام تغار من هذه الفتاة التى لم تبلغ الخامسة عشرة وهى
امراة أربت على الخامسة والأربعين . هذا سر غامض يدعو للتفكير

* * *

خرج محجوب فى يوم من أيام الجمعة وقابل رفقة من أصحابه
لعب معهم الميسر وخسر ما فى جيبه فرجع البيت وهو يعرض بنان
الندم . وسأل عن أبيه فقيل له انه خرج وعن والدته فقيل انها

ستتناول طعام العشاء عند خاتمه . فدخل غرفته وجلس أمام نافذته وأمسك برواية من الروايات الحديثة ليقتل بها الوقت . وبعد هنيهة رأى حبيبته فى النافذة يتبسم له . ولبث يحادثها ويشير لها الى أن رأى خيال مربيته فى الغرفة الأخرى فكف عن محادثة حبيبته وأشار لها أن تبتعد فابتعدت وجلس وحيداً ينتظر الرقيب . فدخلت مربيته بعد عدة دقائق وقد استشاطت غضباً وقالت بصوت مهدهج :

— هذه هى المرة الاخيرة فان عدتَ لفعلتك أخبرت والدك

بكل ما فعلته

— وأى باعث يستفز غضبك وأنا لم أجن ذنباً يستحق اللوم؟

— أى باعث يستفز غضبى ! انك حقاً ساذج لا تعرف الى

أى هوة أنت مسوق . وأخشى أن تدور الدائرة عليك

— انى أكره هذا الحديث

— أتأبى استماع نصائحي ؟

— انها لا تصلح الآن بعد أن كللتنى الرجولة

— يالك من شاب أبله

سمع محبوب هذه الكلمة فقام غاضباً وهم أن يغادر الغرفة

فأمسكت به مربيته وأغمت ذراعها على خصمه ومنعته من الخروج .



فهمّ بالافلات منها فلمس جسمه جسمها فلم يجد بأساً في البقاء . فلفف ساعده أيضاً على خصرها متظاهراً بالهجوم ليدافع عن نفسه . ووقع نظره على وجهها فاذا به يرى صورة غريبة شهوانية لم يرها من قبل في ذلك الوجه الذي عرفه من يوم أن كان (يحبو) على الوسائد . فوقف هنيهة ينظر اليها وتنظر اليه ، وكانت لم تنزل بضة البشرة عليها مسحة من الجمال بالرغم من الحنسة والاربعين عاما التي قضتها . وكان محجوب شابا يهيج شهوته الخادرة أيُّ باعث صغير . فأطال النظر اليها وأطالت النظر اليه وسمع أنفاسها تتردد في صدرها وهي تنظر لخصلة شعره الاسود المسدلة على جبينه . ثم قبلته في فمه قبلها في فمها وتعانقا وتلاصق جسمها بجسمه . وأحس بنهديها الذابلين تداك بهما صدره

ثم غابا عن الوجود

لقد كان طفلا جميلا فكانت تحبه مريته كأُم حنون والآن صار شابا جميلا فاحبته مريته كهشيقة ضرم الحب أنفاسها .

فيا للعجب مما تراه العيون في ظلام هذه الحياة

(سنة ١٩١٧)

فواطر قصصية

ريان يا فجل

ريان يافجل

قضيتُ صباحُ أمس ساعة في قهوة بميدان الاوبرا قرأت فيها
الجرائد وشربت فنجاناً من القهوة ثم هممت واقفاً وعزمت على
العودة لدارى للغذاء فقصدت ميدان العتبة الخضراء لاركب الترام .
وبينما كنت ماراً أمام دار البريد استوقفنى شاب أسمر الوجه وضاح
الطامة قوى العضلات رشيق الحركات يدل بريق عينيه على ما فى
قلبه من عزم ونشاط . وكان لاساً معطفاً جديداً يخفى بدلة
ماشككت فى أنها من عمل « دليا » أو « ريبو » .

استوقفنى الشاب بقوله :

— صباح الخير

فرددتُ السلام ونظرت اليه نظرة عبرت له عن استغرابى
وحيرتى . وقالت لنفسى : « ماذا يريد الشاب منى وليس لى به معرفة
ولم أصادفه فى طريقى قبل اليوم . لعله صديق أحد أصدقائى يود
محدثنى فى أمر يخص ذلك الصديق . أو لعل له قصد آخر » . ومشى
الشاب بجانبى وهو يتسهم ويقول :

— البك بلا شك على موعد لأنه يسرع فى سيره .

— كلا ياسيدى أنا عائد لدارى .

— أيسمح لى البك بـخمس دقائق .

— بلا شك .

— البك يعرف ما يلقاه الأديب من الضيم فى مصر ، والبك يعرف كساد سوق الأءب فى مصر ، والبك يهه أمر الأءباء فى مصر ، والبك يساعء الأءباء فى مصر .

فأجبتة باءسامة صفراء قائلاً :

— والبك لىس فى جيبه إلا من تذكره الترام .

فضحك الشاب وقال :

— أنا أطلب مبلغاً لا يزيد عن شلن ولا ينقص عن نصف

فرنك ، والبك كريم .

فأخرجت من جيبى قرشين أعطيتهما له وسرت فى طريقي

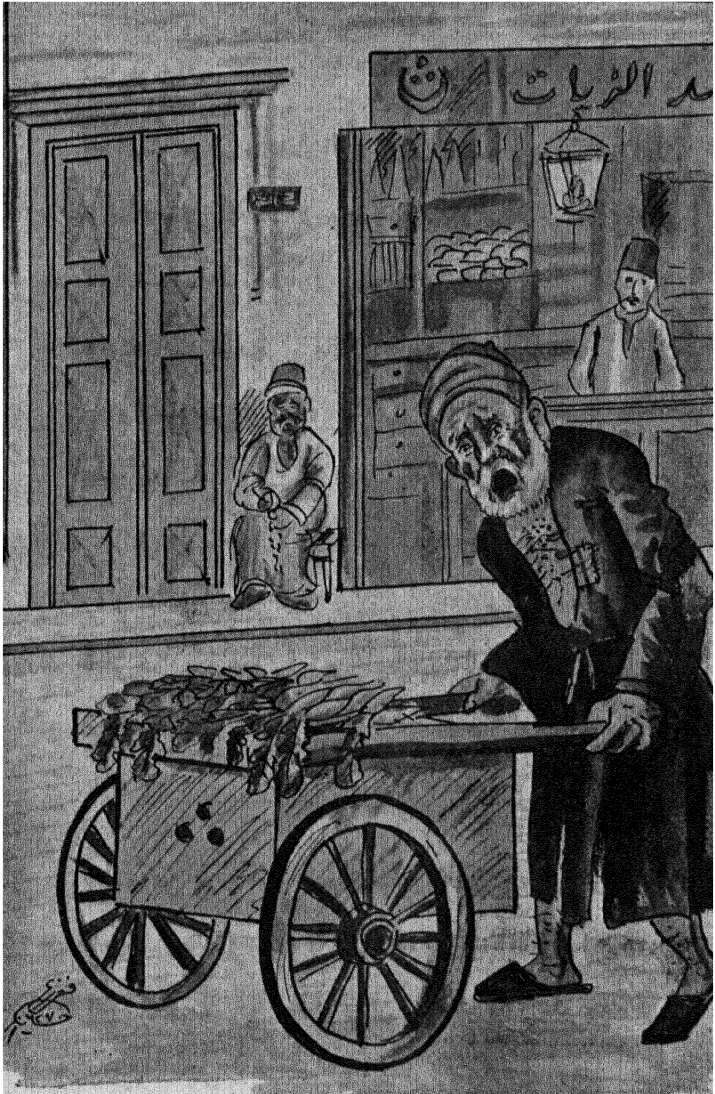
لأركب الترام .

نزاتُ من الترام عند باب الحلمية وأمخذت وجهه دارى وأنا

أسير الهوينا . وعند وصولى للمنزل وجدت شيخاً يبلغ الستين ضخم

الجمة محنى الظهر له لحية بيضاء، تتدلى على صدره ، يءفء بيءه عربة

صغيرة عليها فجل يءبعه للناس . يسير هنيهة ويستريح أخرى



﴿ ريان يافجل ﴾

ويصرخ من أعماق قلبه (ريان يافجل) والناس تسير بجواره دون
أن تهز قلوبهم الشفقة فيجودون له بثمان كأس من الجعة اعتادوا
شربه كل مساء .

سار الرجل في طريقه الى أن وصل الى نهاية الشارع . وحانت
منى التفاتة له فوجدته يصرخ (ريان يافجل) . ثم وقف هنيهة
ليستريح واذا به يهوى على الأرض . فأسرعت مع الخدم اليه
فوجدناه ملقى على الترى وهو يلهث من التعب وقد عجز عن
الكلام . فحملناه الى الدار ليستريح ويأكل ويشرب .

سبحان ربى ! الفرق كبير بين الاثنين . الأول شاب اتخذ
الكسل حرفة والأدب ذريعة . والكسل سبيل اتدهور الى الدنيا
التي تموت فيها العواطف أو بالحرى الى الموت الأدبى . والثانى
شيخ أقعده الكبر ونال منه الضعف ولكنه أبى أن يرجع القهقرى
فى المعركة الكبيرة ، معركة الحياة ، وعزَّ عليه أن يمد يده للسؤال فعمد
للعمل مفضلاً الموت على الجبن . والعمل سبيل الارتقاء الى الدنيا
التي يسمو فيها الانسان لذروة الشرف أو يموت فيها ميتة
الأبطال

(مايو سنة ١٩١٨)

سارق و سارق

سارق وسارق

الشيخ أحمد ، يافع أصفر الوجه نحيل الجسم إذا مشى سار الهوينا لضعفه وانحلال قواه . وإذا نظر اليك انبعث من عينيه بريق بهز أوتار قلبك ويبعث فيه الشفقة والحنان . تراه في صبيحة كل يوم يحمل على ظهره المقوس ألواح الثلج يسير بها في شوارع الرمل ليودعها في البيوت والقصور وما ساقته لذلك غير الحاجة ولا قادته غير البلوى فهو من الفقراء البائسين الذين لا حول لهم ولا طول . ولقد أطلق عليه أطفال الرمل اسم « الشيخ احمد » لسداجة طبعه وضعف قوته . فهوى نظرهم العوبة يقتلون به الوقت ، والوقت في نظر الاطفال لا قيمة له . بيد أن اسم الشيخ احمد التصق بشخصية ذلك العامل المسكين فرده الكبير والصغير والغنى والفقير والشريف والحقير . وأصبح حامل الثلج لا يُعرف في حي الرمل بغير ذلك الاسم .

اعتدنا أن نرى وجه ذلك المسكين في كل صيف عند مجيئنا للاسكندرية . وكأننا نرى برؤيته جزءاً من رمال الرمل وغياضها وبحرها الهاجج . غير أننا في هذا العام حرماناً رؤيته وجهه البائس شهراً من الزمن شعرنا باختفاء شيء اعتدنا رؤيته كل صيف . ثم ظهر

الشيخ احمد في ربوع الرمل يحمل على ظهره ألواح الثلج . ورأيناه في صبيحة يوم من الأيام يطرق بابنا ويدخل فناءنا وهو يبتسم كأنه يقرى . أرض الدار وجدرانها وكل شيء فيها سلامه ويبشها أشواقه . ولو كان للارض والجدران لسان يتكلم لسمعنا حديث الشوق وتحيمات اللقاء بعد الفراق . ناديته فلبى ندائى ووافانى يتعثر في مشيته فسألته عن سر غيبته فقال :

— كنت رهين السجن ياسيدى .

— الشيخ احمد يزج في أعماق السجن !

— إنى والله برىء .

— وكيف كان ذلك ؟

— سيدى لا يعرف الرجل الذى يشتري الملابس الرثة ثم

يبيعها فى الطرق بعد اصلاحها .

— أعرفه ياشيخ احمد وأسمع صوته كل يوم فما هو الاحانوت

متنقل

— بورك فيك ياسيدى فقد عرفت الرجل . لقد سألته يوماً

شراء ثوب كان فى يده وساوتمته على الثمن فأبى أن يبيع الثوب

بعشرة قروش وغادرنى وسار فى طريقه . واكنه التفت الىّ بعد

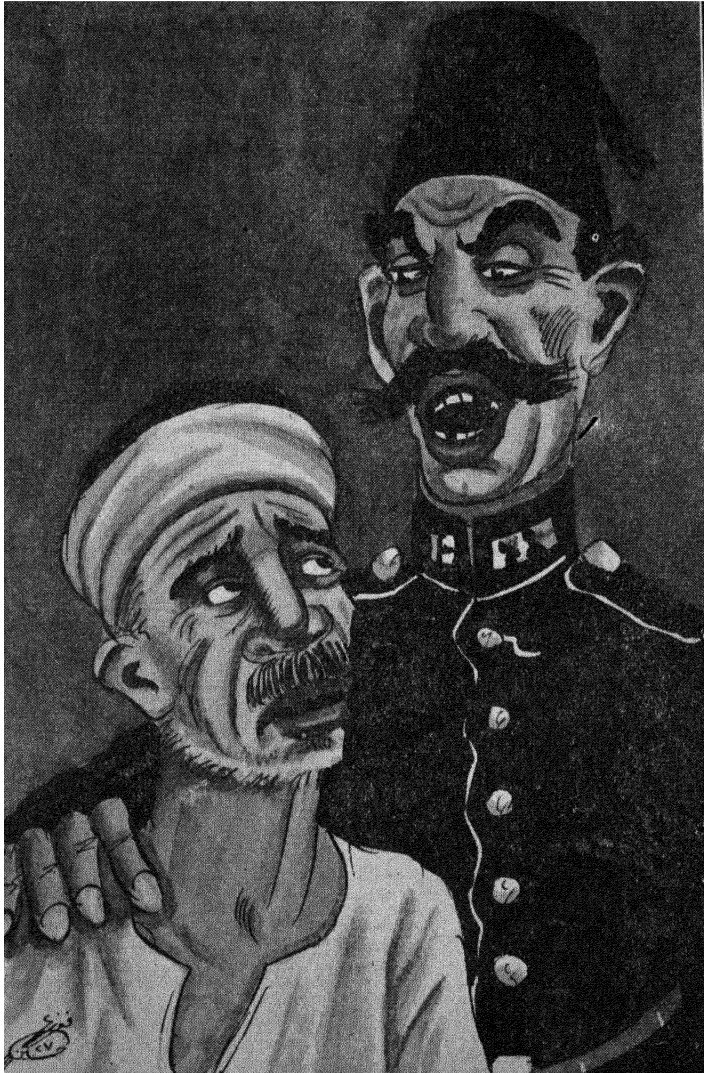
حين ونادانى قائلاً هات الثمن وخذ الثوب . فاعطيته ما كان فى جيبى

٧ ماتراه العيون

وكنت لأملك سوى عشرة قروش. فوضع الدراهم في جيبه وسار في طريقه. فجزيت وراءه لآخذ الثوب ولكنه نهرني ثم ضربني وربح الصفقة مني. فالتفتُ يمنة ويسرة لعل أجد في الطريق رجلاً ذا شهامة ومروءة يرد إلى مالي فلم تقع عيني على غير آكام الرمل. فعدت أدراجي صفر اليدين لأملك أبيض ولا أسود. ولكني أقسمت أن أنتقم من ذلك الوحش بل من ذلك الجبان الذي وجد ضعفي وبؤسى وسيلة يرربها جريمته. وقابلته بعد أيام ثلاثة وكان قد وضع حملة أمام بيت دخل فيه يساوم بعض الخدم على شراء ثوب عتيق فأخذت من بين بضاعته الثوب الذي دفعت ثمنه. وما دفعني لذلك غير الانتقام. وإذا بالرجل خرج من البيت وجرى ورأى وأمسك بي ثم أخذ الثوب مني. ومازاتُ بين يديه يصفعني تارة ويهزني طوراً إلى أن سلموني ليد البوليس وحكم على بشهرين قضيتهما بين جدران السجن. ثم ابتمس الشيخ أحمد وقال :

— ولكني لا أكذبك القول. لقد كنت على أحسن حال في سجنى فما شكوت ضيقاً ولا جوعاً .

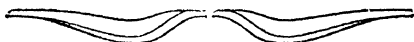
وغادرنى الشيخ أحمد وهو يتسم حاملاً ألواح الثلج كماهاته . فقلت في نفسى حرام أن يعاقب الأبرياء أما المجرمون



﴿ الشيخ احمد يقبض عليه البوليس ﴾

فما زالوا يعيشون في الارض فساداً. ثم أقيمت نظرة أخرى على
الشيخ احمد وهو يتوارى عن نظرى فرأيت فيه صورة البائس
الذي يخرج من المجتمع الانسانى من حيز الأبرياء الى حيز المجرمين .
وكيف لا يكون الامر كذلك والشيخ أحمد لم يشك في سجنه ضيقاً
ولا جوعاً

(١٣ أكتوبر ١٩١٨)



للفقراء مجاناً

للفقراء مجاناً

بينما كان الظلام ملقياً رداءه الأسود على المدينة والسكون ضارباً خياله والناس رقوداً في منازلهم كان الدكتور (. . . بك) جالساً أمام مكتبه يخطط بيده السكرية ما يمليه عليه وجدانه الحى . وكيف لا يكتب الدكتور فى تلك الساعة وغداً ستقام حفلة كبرى لأول مجمع طبي مصرى يخطب فيها الدكتور خطبة شائقة تمتلك على الناس نفوسهم وتستهوئ أفئدتهم . أجل يكتب الدكتور ثم يفكر ثم يكتب وهو ممسك بالقلم فى يده كأنه رمز الجد والعمل والحنو والشفقة . وما لبث الدكتور فى مكانه قليلاً حتى سمع صوت الساعة تدق الثانية عشرة فوضع يده على رأسه وقال : (حان ميعاد النوم ولكن الخطبة لم تتم بعد) . وأمسك بيده القلم مرة ثانية وكتب الجملة الآتية : (الطب أيها السادة هو النبع الفياض الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب هو الدار التى يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها صحيحاً معافى ، بل الطب فى نظري أيها السادة كبيت الله تجمع بين الفقير والغنى والبائس والسعيد فى مستوى واحد ، بل ربما كان الطب أوسع صدرأ للفقراء وأحنى قلباً على الضعفاء البائسين ، الطب . .) ثم تمهل الطبيب قليلاً وفكر كثيراً

وهو جالس أمام مكتبه يئمه عن النوم والراحة ضميره الطاهر ذلك الباعث القوى ، باعث الخير والاحسان والشفقة على الفقراء من بنى جنسه .

وكان الدكتور يسكن حياً وطنياً يضم في أحشائه جماعة ممن يبيتون على الخسف ويشربون على غير نميلة ، قوم فقراء أضر بهم المرض وشفهم الحزن . وعلق الدكتور على باب داره لوحة كبيرة كتب عليها بالثلث « للفقراء مجاناً » . ما أجل هاتين الكلمتين (للفقراء مجاناً) . إذا مر الفقير وقرأهما دخل دار الدكتور وهو يقول : (سأدخل مريضاً وأخرج صحيحاً دون أن أدفع للدكتور من عشاء الاطفال في البيت) . أجل اذا قرأها الفقير تهلل وجهه وبرقت أسرته وابتسم ابتسامة تعبر عما في قلبه من الشكر والرضى . ومارضى الفقير الاحسنة من حسنات الله على بنى الانسان .

قلنا إن الساعة كانت تدق الثانية عشرة وأن الدكتور كان يكتب ونسينا أن أحد الفقراء في تلك الساعة كان جالساً القرفصاء بجوار فراش ابنته الحامل التي كانت تصرخ من الألم وهي ترتعد من البرد وقد اصططكت أسنانها وتقلصت شفتاها وسالت دموعها على خدها تكتب سطور البؤس والألم . ابنة في الثامنة عشرة من عمرها مات زوجها بعد أن تركها حاملاً ، وهي الليلة تلد وقد تعسرت

ولادتها فأصبحت على قيد شبرين من الموت . جلس الرجل الفقير القرفصاء واضعاً رأسه بين يديه وهو كاسف البسال غائر العينين لا يعرف ماذا يفعل ولا يهتدى لوسيلة يخفف بها آلام ابنته . وإذا بزوجته العمياء التي كانت تبكي وتضرب رأسها في الحائط تقول له :

— أنسيت أن الدكتور . . بك يعالج الفقراء مجاناً . اذهب إليه

واطرق بابيه فربما رقى قلبه وأنقذ ابنتنا من مخالب الموت .

فقام الرجل دون أن يفوه ببنت شفة واتخذ وجهة الباب وخرج للشارع ليأتى بالطبيب . ومشى الرجل في الشارع وهو يترنح كالشارب الممل الى أن وصل لباب الطبيب ودقه ثلاثاً فخرج خادم أسود وهو يهينم ويزجر وقال له :

— ماذا تريد ؟

— ابنتي تموت . أريد أن أحادث الدكتور .

— الدكتور مشغول جداً وقد نبه على أن لا أجيء سائلاً .

— ولكن ابنتي تموت .

فأقبل الخادم الباب . ورجع الفقير من حيث أتى وهو خافق القلب . ولكنه وقف هنيهة قبل أن يصل لمنزله وقال لنفسه : (أجل سأفعل ذلك وماضرنى لو فعلته) وإذا به يرى رجلاً يسير الهويناء في الطريق فمد له يده وقال : (حسنة ياسيدي) فأنقذه الرجل وسار

فى طريقه . ومر رجل ثان وثالث ورابع وكان نصيب الفقير الحية
فى كل مرة . وإذا بالشرطى يقول له :

— ما هذا الفعل يا رجل ؟ متسول فى الطريق . هيا الى

القسم .

ولم يكن مع الفقير ما يسد به فم ذلك الشرطى فقال له :

— لم أعود التسول ياسيدى ولكن ابنتى تموت فأردت أن

أجمع أجرة الطبيب فلم أجد غير هذه الوسيلة .

ولكن الشرطى قاده الى القسم وهناك قضى ليلته .

وفى الصباح عاد الفقير الى منزله بعد أن أطلق سراحه

وكانت الساعة تدق العاشرة وإذا به يسمع صراخاً وولولة فهول

لداره فوجد زوجته تبكى وتصرخ وابنته قد فارقت الحياة فانكب

عابها وقد فقد الرشد .

وفى هذه الساعة ، الساعة العاشرة كان الطبيب « الدكتور...

بك » واقفاً يخطب فى المجمع ويصيح بملء فيه (الطب أيها السادة

هو النبع الفياض الذى يستقى منه الفقير بلا أجر ولا ثمن ، الطب

هو الدار التى يدخلها المريض وقد أشفى على الهلاك فيخرج منها

صحيحاً معافى ، بل الطب فى نظرى أيها السادة كبيوت الله تجمع

بين الفقير والغنى والبائس والسعيد في مستوى واحد . بل ربما كان
الطب أوسع صدرأ للفقراء وأخنى قلباً على الضعفاء والبائسين ،
والطب ...)

(٤ ابريل سنة ١٩١٨)

درس فی کتاب

درس فى كتاب

يطلق سكان باب الخلق والحزائى والسكة الجديدة على حارة درب سعادة اسم (شارع) ولا أدرى لماذا يفعلون ذلك وحارة درب سعادة ضيقة تسكاد تلتطم العربات بجدرانها إذا مرت فيها وهى ملاءى بالقاذورات والأوحال صيفاً وشتاء . وقد عززت الحكومة رأى السكان فلم تضن عليهم بلوحة مكتوب عليها بخط جميل (شارع درب سعادة) وان كانت ضنت عليهم بمصاييح الانارة . وفى هذه الحارة ، أستغفر الله بل فى هذا الشارع ، جامع يقصده عباد الله للصلاة . ويجوار هذا الجامع كتاب صغير يُطلق عليه كُتَّاب (سينو اغا) . كنتُ أسكن هذه الناحية وأنا صغير . بل فى هذه الناحية ولدت وفيها ربيت . ولم أتركها إلا وأنا يافع بعد أن بعنا دارنا الكبيرة التى لم يبق منها الا دمن تبعث الذكرى فى القلوب ، ذكرى الطفولة العذبة الجميلة . أذكر انى وددت وأنا صغير أن أزور الكُتَّاب لأقارن بينه وبين المدرسة التى كنتُ أذهب اليها كل يوم . فدخلت مع خادمى وصعدت للطابق الأعلى ورأيت الأطفال جلوساً كلاً أمام قطره وهم يرددون آيات القرآن الكريم بنغمة حلوة شجية . وكان (الفقى) غائباً ذلك اليوم أما (العريف) فكان واقفاً

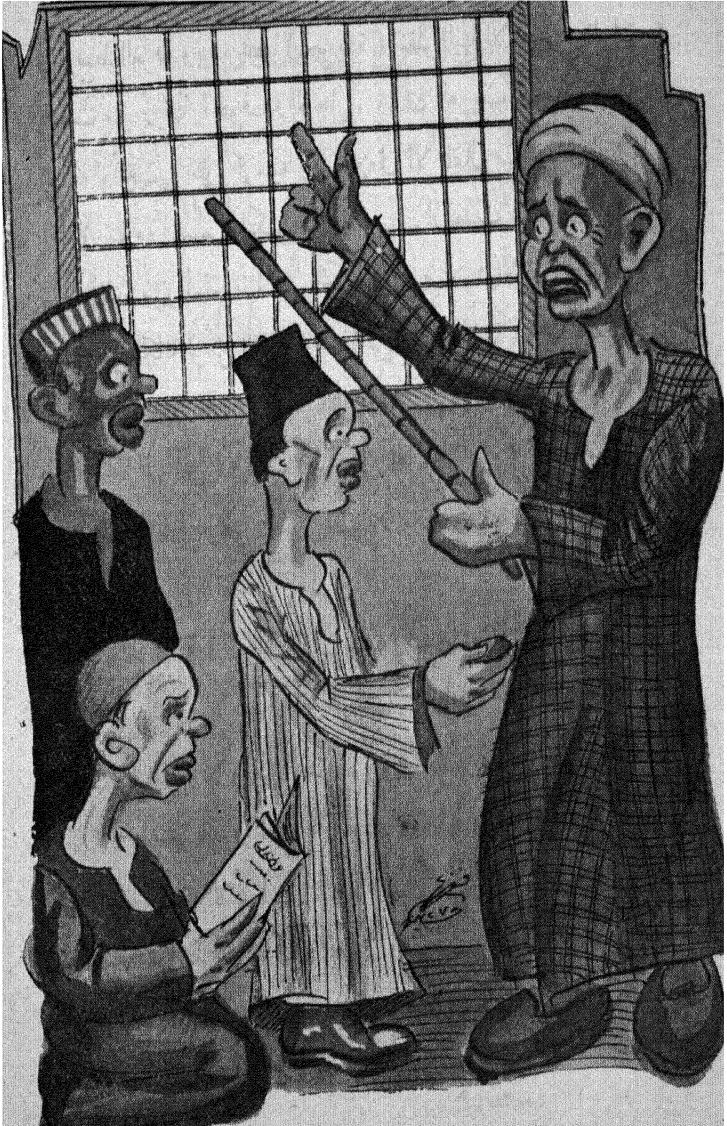
في وسط الغرفة ويده عصا (جريدة) تنظر اليها الأطفال نظرات
ينبعث من بريقها الخوف والوجل . رأى العريف وحياني أجمل
تحية وأجلسني على كرسيه وصرخ في الأطفال صرخة أراد بها
إظهار مقامه بينهم ولكني لا أنكر أني ارتعدت عند سماعها كما
يرتعد العصفور أمام الباشق . ثم التفت يميناً وشمالاً فرأيت طفلاً
ينسل من مكانه لركن الغرفة وهو يخفي في يده شيئاً . وإذا بالعريف
يصيح :

— الى أين ؟ وكيف تجرأ على مخالفة النظام ؟ تعال هنا
فأنى الطفل وهو يتعثر في مشيته . وصاح العريف مرة ثانية :

— علىّ (بالفلكة) .

فأتاه بها أكبر الأطفال سنّاً . وشدوا وثاق الطفل . وأقسم
العريف بأغلظ الأيمان أنه سيضرب الطفل ضرباً مبرحاً لأنه
خالف النظام والأوامر الجديدة . وهمّ بضربه وهو يقول :

— أقسم بالله والنبي والرسل والصحابة والأولياء والأتقياء ،
الأحياء منهم والأموات إنك لا تفلت من يدي . سوف ترى .
سأحل بك أشد عقاب رأته العيون وسمعت عنه الآذان من عهد
آدم ونوح . ما الذى تخفيه في يدك ؟ تكلم . لماذا غادرت مكانك
خفية . ما الذى بيدك ؟



﴿ العريف والصبي ﴾

فصاح الطفل وقد رأى العريف بهمّ بأن يهوى بعصاه على جسده الناعم .

— حلاوة . حلاوة . والنبي ياسيدنا حلاوة .
فابتسم العريف وقال :

— صفحت عنك لانك قلت الحقيقة .

وأمر بحل وثاقه . وأخذته على ناحية وهمس في أذنه وهو يتلهظ وقد سال اللعاب من فيه :

— ما الذى معك . حلاوة . هيه حلاوة .

— نعم حلاوة .

— هات حته

فأعطاه الطفل الحلاوة . والتمها العريف وهو يبتسم . وعاد الطفل لمكانه . وخرجتُ من الكتّاب بعد أن شاهدت فيه درساً من أخلاق السوق لا أظن أنى أراه فى مكان آخر

(٢٣ مايو سنة ١٩١٨)

عرس ومأتم

عرس ومأم

شارع (ال...) شارع قديم جداً أنشئ في عهد أمير مصر سعيد باشا وبقى على حاله الأول الى يومنا هذا . ولعل السر في ذلك وجوده في حي قديم بعيد عن الأحياء الاوربية . وهو كالشوارع القديمة يجمع بين القصور الكبيرة تحوطها الأسوار العالية والبيوت الصغيرة الخميرة التي لا تؤوى تحت سقفها الا المساكين . في هذا الشارع قصر كبير لأحد بشوات مصر المعروفين بالجاه والحسب والثروة . ولهذا الباشا أربعة من الأولاد الذكور واثنان من الاناث يعيشون عيشة هادئة مرضية وينعمون بلذات الحياة ومسراتها .

أراد الباشا أن يزوج ابنه الأكبر فخطب له ابنة تساويه مقاماً ومالا . وأقام الأفراح في قصره أربعين ليلة متوالية حتى ملئت النفوس سماع النغمات ورؤية التمايق والانوار

عرس يجمع أربعين عرساً !!! تلك لعمري مسألة عريضة طويلة حوت ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . شيء كانت له ضجة هائلة في ذلك الحى بل كان حديث الناس في كل مكان .

وفي ذلك الشارع أيضاً بيت حقير لحوذى من أصحاب العربات «الكارو» له ولد مريض أربى على الثامنة عشرة لازم الفراش .

أربعين ليلة وافقت ليالى العرس . كان الباشا يضحك وكان الحوذى يبكى . كان الباشا يهد معدات العرس ويصرف من أجل ذلك عن سعة وكان الحوذى يبيع أثاث بيته ليشتري الدواء لابنه المسكين . كانت النغمات تطن فى آذان الباشا فينشرح لها صدره وتنبسط نفسه وكانت أنفاس الابن تقع فى قلب الوالد فتقطع البقية الباقية منه . وفى صبيحة اليوم الواحد والاربعين زاد على أهل القصر الكبير شخص وهو زوجة الابن الاكبر، ونقص من أهل البيت الحقيق شخص هو ابن الحوذى البأس .

أصبح الزوج ينعم مع زوجته بما لده وطاب ، وأصبح الشاب الفقير جثة هامدة تبللها دموع أبيه المسكين .

ذهب الحوذى لقصر الباشا باكى العين كاسف البال حاوي الوطاب وسأله أن يعطيه ما ينفقه فى سبيل دفن ولده فامتنع الباشا معتذراً بأنه أنفق المال الكثير أربعين ليلة متوالية لزواج ولده . إن ذلك شديد هائل على كل نفس حرة أبية .

(٩ يونيو سنة ١٩١٨)

رمضان في قهوة ماتاتيا

رمضان في قهوة ماتاتيا

خاف المحكمة المختاطة وأمام بنك الكريدى وفي كتف دكان
مدكور وقفت قهوة ماتاتيا وقفة الرجل الديمقراطي متهلة الوجه
باسمة الفم تجمع من الناس الغنى والفقير والرفيع والوضيع والمتكبر
والوديع .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وهي تنظر لحديقة الازبكية نظرة
الهازىء تقول لها وهي تبسم : « أنت شاسعة الارحاء كثيرة
الاشجار طويلة الطرق والدروب وأنا صغيرة وحقيرة وإن شئت
فأنا أيضا غير نظيفة ولكنى أضمت تحت لوائى عدداً من الناس لم يظأ
أرضك بعد ربه ولا خمسه فأنا أكبر منك مكانة وأرفع مقاما » .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد وقف على كل باب من أبوابها رجل
اسرائيلى أمام خوانه الصغير بعد أن وضع عليه قدرة الفول المدمس
يحف بها البصل والخيار والقوطة الحمراء وانفجرت الكرات .

ما أجمل قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها الشاب ذو الوجه الجميل
والشعور المسدلة والقدر النحيف واللباس النظيف ينتظر مرور الناس
ليسرق من جيوبهم باسم (حرفه) الأدب والشعر أو باسم
(الاحرفه) الدراهم التى أعدوها للفقراء والمساكين . بل ما أجمل

قهوة ماتاتيا وقد جلس فيها أيضاً الصحفي صاحب الجريدة الأسبوعية الشهيرة التي تصدر لسب الناس وانتقادهم بلا ذنب ولا جريرة . بل ما أجمل النغمات الموسيقية في قهوة ماتاتيا ، نغمات (أحجار الطاولة) ممتزجة بأصوات بانجى أوراق اليانصيب . ما أجمل قهوة ماتاتيا إذا جلستَ فيها وأتاك أحد السماسرة يعرض عليك شراء منزل أو بيع قطعة من الارض .. الخ . بل ما أجمها أيضاً وقد جلس فيها كُتّاب المحامين يناقشون أصحاب الدعاوى ، وصغار الممثلين يتحدثون في شتم إخوانهم ورؤسائهم . والاجمل من كل ذلك أن ترى قهوة ماتاتيا وهي تنظر بعين الغطرسة والعجرفة للخيم الصغيرة والكراسي المهشمة التي أعدها كاتبو العروضات لأنفسهم ولزبائنهم على رصيف المحكمة المختلطة .

كل هذا جميل . هذه مناظر من مناظر الحياة تسترعى نظر الكاتب الذي يكره الجلوس في سولت وجروبي والكونتيننتال ، والذي يحب أن يرى بعينه من غرائب الحياة مايجرى في أمثال قهوة ماتاتيا .

كل هذه المناظر الحيوية يراها الرائي كل يوم ولا يعبا بها ولكنه إذا مر على القهوة في شهر رمضان رأى مناظر أخرى تستوقف نظره . أربعة مناظر جديدة من مناظر التمثيل ليست من المناظر

الاولى ولكنها أكثر منها غرابية .

المنظر الاول منظر رجل من لابسى الجبة والقفطان ناعس .
الجفون جهم المحيا ممسكا بمسبحة طويلة عريضة يقتل بها الوقت ،
هذا هو منظر الشيخ الصائم الذى ضاق فى عينه منزله فأتى ليقضى .
وقته فى القهوة بلا أجر ولا ثمن .

والمنظر الثانى منظر رجل مثله أقل منه عبوسة ونوماً ، يظهر أمام
الناس بمظهر الصائم حتى إذا جاع دخل القهوة سرأ وانزوى فى ركن .
من أركانها يشرب البيرة ويأكل الفول . هذا هو منظر الرجل
الصائم جهاراً والفاطر سرأ .

والمنظر الثالث منظر الرجل الفقير الضعيف المريض الذى أتى
القهوة ليستنشق هواء حديقة الازبكية ويشرب فنجان قهوة وكوبه
ماء وكل هذا بقرش تعريفة فقط .

هذا الرجل أجبرته ظروف الحياة على الافطار فلم يخش الناس
وشرب القهوة والماء أمامهم وهو يقول لنفسه : (الله يعلم أنى مفطر
فلةعلم أيضاً الناس لأنى لم أفعل ما يغضب الله) .

والمنظر الرابع منظر شاب مصرى لا يتكلم إلا الأفرنسية أو
الأنكليزية مملوءة بالاغلاط المضحكة ، ولا يلبس إلا اللباس الجميل

ولا يمشى إلا مشية الاعجاب والتبخر. وإن ضحك كانت ضحكته
نسائية تستلفت أنظار الرجال قبل النساء. وإن تكلم سالت من فمه
الرقعة وادعى أنه ممن تنفانى النساء في محبتهم. يجلس هذا الشاب على
قهوة ماتاتيا واضعاً رجله اليميني على رجله اليسرى خالفاً طربوشه
وممسكاً يمينه كأس الوسكى أو الكونياك يحتسيه جرعة جرعة .
هذا هو منظر من لا يخشى الله ولا الناس ، منظر المتفرنج ، منظر
العضو الأشلّ في جسم الأمة المصرية

ولكن المرأة لم تخلق
لهذا الهناء في مصر

ولكن المرأة لهم تخلق لهذا الهناء

في مصر

ما أجمل الصيف في رمل الاسكندرية وما أجمل رمل
الاسكندرية في عين المصطاف . الارض صفراء والحدائق خضراء
ومياء البحر زرقاء والأمواج زئير تألفه النفوس كأنه موسيقى
الصيف ، والقمر في منتصف كل شهر أشعته زاهرة تنعكس على وجه
الماء فتبدو للعين فضية اللون . والاستحمام في ماء البحر كل صباح
يعيد للنفس نشاطها وللقاب طمأنينته وراحته . كل هذا جميل وأجمل
منه أن تخرج من منزلك عصر كل يوم للتنزه فتصادف في طريقك
صديقاً تأنس لحديثه فتسيران الهويناء معاً تنظران لجمال الطبيعة
وتتأجبان قدرة الخالق وعظمته تبدو في صفائر الامور وكبائرها
فوق هذه الرمال .

أخرج في العصر للتنزه ساعة ثم أعود لمنزلى قبيل المغرب .
ففي ذات يوم خرجت للتروض كهاتى وبينما أنا سائر في طريقى
لمحت رجلا يقرب منى من بعيد . وشعرت برجل آخر يسير خلفى . ثم
اقرب الرجلان وسلما على بعض وهما يبتسمان ووقفنا هنيهة يتحادثان
ثم سارا معاً أمامى وهما يعتبان على بعضهما اطول غيبة الواحد عن

الثانى . فما شككت فى أنهما صديقان التقياً فى هذا الطريق بعد فراق طويل . ثم دلفت لمنزلى وتركتهما معاً ولم أعلم عن أمرهما شيئاً الا عصر اليوم التالى .

خرجتُ فى اليوم التالى للتنزه كالعادة وسرت فى الطريق الى وطنها قدمائى بالأمس فاذا بى أرى رجل الأمس يقترب منى وكانت تسير بجواره عادة ماشككت فى أنها زوجته . وشعرت خلفى أيضاً بالرجل الثانى يسير مع سيدة ماشككت أيضاً فى أنها زوجته . ولما تلاقى الجمعان انفصل كل من الرجلين عن زوجته ووقفنا من بعيد ينظران للأرض دون أن يجسرا أحدهما على رؤية الآخر . أما الزوجتان فقد كانتا على ضد ذلك . وقفت كل واحدة منهما تحدث الأخرى وهى لامعة الصفحة باسمه الفم ثم انفصلتا عن بعضهما وسارت كل واحدة بجانب زوجها متخذة وجهها لمنزلها .

بالعجب . بالأمس وقف الرجلان يعقب الواحد منهما على الآخر لطول غيبته ثم سارا جنباً لجنب يتحدثان ويضحكان ، واليوم وقف كل واحد منهما بعيداً كالصنم لا يتكلم ولا يتحرك كأنه لم يكن بين الأول والثانى ودّ وصداقة . كل هذا لانفعله احتراماً لنفسائنا بل احتراماً لتلك الخرقه التى يضعنها على وجوههن ، واتى

نسميها بالبرقع . حرام أن يكلم الصديق صديقه اذا قابله مع زوجته
ظنا منه أن في ذلك ما يحبط من قدر الزوجية إذ للرجال عالمًا
منفصلا عن النساء . ألم يكن أحسن من ذلك وأولى أن يقف
الأربعة ليتحدثوا معاً ويتنزهوا معا وعلى الأخص اذا كان الرجل
صديق الرجل والزوجة صديقة الزوجة . أي حائل يحول بينهم والى
متى تبقى تلك الحال السيئة ونحن في غنى عنها .

ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء في مصر

(٤ يوليو سنة ١٩١٨)

لبن بقهوة
ولبن بالتراب

لبن بقهوة ولبن بالتراب

صباح اليوم ، بعد أن صحوت من نومي ولبست ملابسي ، أتتني الخادمة بالفطور لآكل ثم أخرج . ألقيت نظري على الطعام فوجدته مختلف الألوان من جبن وزيتون وبيض ولبن وقهوة . وكانت لي شهية للأكل فأكلت من الجبن والزيتون والبيض حتى شبعت ثم نظرت للبن والقهوة وقلت لنفسى : (إني أشرب اللبن مع القهوة صباح كل يوم ولقد شبعت من غيره اليوم وايس في مقدورى أن أضيف الى ما فى معدتى من اللبن شيئاً) . وقت لا رتدى ملابسي وإذا بى أرى كلبى يبصص لى بذنبه فأفرغت ما كان فى فنجانى من اللبن فى وعاء الكلب وتركته والوعاء .

ركبت ركاب الرمل حتى الاسكندرية وقضيت بعض حوائجى . ثم أردت الرجوع فانتظرت فى المحطة قائلاً مترقباً وصول القطر الذى يقلى حتى المحطة التى أسكن فيها . وإذا بى أرى رجلاً يبلغ الخمسين يسير وراءه طفل ماشككت فى أنه ولده ، يحمل معه قدراً مملوءاً بسائل لا أعرفه . وحوالاً ركوب قطار كان قد غادر المحطة وابتعد عنها قليلاً . وإذا بالولد يهوى على الأرض والأب يهوى فوقه ولحسن حظهما لم يصابا بسوء . ولكن القدر انكسر وسال

ما فيه على الأرض وكان ابناً ناصع البياض. فنظر اليه الرجل نظرة
ملؤها الأسف وكادت الدموع تسيل من عينيه. ثم سار في طريقه
مع ابنه وكأنه تفاعل شراً مما حدث فعاد من حيث أتى .

لم ألبث في طريقى قليلاً حتى رأيت طفلين من أطفال شوارع
الاسكندرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لابسين من الملابس
التي لا يجب من جسدتهما الا القليل ، عاربي الرأس حافبي الاقدام
تتراكم على جبهتهما وملابسهما القاذورات والأوساخ ، تسابقا
لمكان الحادثة ولما وصلا اليه ركعا على الأرض ولبثا يلحسان
الله وكان ابناً بالتراب لا بالقهوة .

يا لله أترض نفسى فى هذا الصباح فنجان ابن بقهوة وترضى
نفسا هذين الفقيرين ابناً ممزوجاً بالتراب !..

(٢٥ يوليو سنة ١٩١٨)

سر من أسرار
تأخر المصريين

سر من أسرار تأخر المصريين

يسكن بجوار منزلنا رجل أشيب معمم ذو ثروة كبيرة . إذا مشى في طريقه ينبعث من وجهه جلال ووقار . وإذا نظر اليك نظرة اختبار واستفسار قرأت في عينيه الطيبة ولا أغالى إذا قلتُ السذاجة . هذا هو جارنا الجديد المحبوب صاحب المال والبنين والبنات والثروة والجاه والفضل الكبير .

مضى عليه في الحى الذى نسكن فيه أربعة أشهر . ثم جاء شهر رمضان فاذا بي أراه من نافذة غرفتي يجلس مع أولاده فى غرفة من غرف داره ليقرا البخارى . وإذا بي أرى شيخا آخر من الذين يطرقون بيوت الناس كل يوم جالسا بجواره يسمع أحاديث النبي صلواته ويهز رأسه استحسانا حتى اذا تعب صاحب الدار من القراءة أمسك شيخنا الجديد بالكتاب وابتدأ في تلاوة الأحاديث .

جميل ذلك المنظر ، منظر الشيخين والاولاد الصغار يتلون ويرددون أحاديث النبي صلواته . وفى ذلك عبرة ان يعتبر وذكرى لمن يتذكر . ثم زارنا الشيخ الآخر ذلك الذى اعتمد الدخول فى بيوت الناس كل يوم فجلستُ معه ساعة من الزمن وسقت معه الحديث فى مواضع شتى الى أن تكلمنا عن قراءة البخارى فقلت له :



﴿ نحن نقرأها يا ولدی علی برکة الله ﴾

— أرى سيدي الفاضل يجلس كل يوم مع جارنا لتلاوة
أحاديث النبي .

— نعم يا ولدي وعلى بركة الله .

— قراءة أحاديث النبي ذات فوائد عظيمة . لعلكم وجدتم
فيها شيئاً يعزز بعض آراء النحويين .

— نحن نقرؤها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا في معاني أحاديثه نظريات تتفق أو تدحض
بعض نظريات علم الاجتماع .

— نحن نقرؤها يا ولدي على بركة الله .

— ألم تجدوا فيها شيئاً من سياسة الأمم .

فنظر الرجل نظرة حيرة واستغراب وأمسك بلحيته وتردد

قليلاً ثم قال :

— نحن نقرؤها يا ولدي على بركة الله .

ثم ودعنا وانصرف .

وانتضى شهر رمضان وكدت أن أنسى ذلك اللقاء الى أن

سأقت الظروف لدارنا مستشرقاً من مستشرقى أوروبا ، شيخنا

أشيب وقوراً حلیم الطبع لامع الصفحة . قدم الى مصر للبحث عن
كتاب عربى قديم فى أمراض العيون بحث عنه فى جميع مكاتب
العالم فلم يجده فى غير مكتبتنا

جلستُ مع الرجل وحادثته ملياً وقلت له :

— شكراً لك ياسيدى لأنك بطبع هذا الكتاب تخدم

الشرق أجمع

— بل إنى أشكركم بالسماح لى بطبعه .

— إنك تظهر مآثر العرب وتنشر علومهم الدفينة .

— أجل ولكنى أيضاً أظهر للعالم الانسانى كيف كان حال

الطب فى ذلك العهد ولهذا أخذم تاريخ هذا العلم واعلمى أوفق لذلك .

وودعنا الرجل وانصرف حاملاً الكتاب وأتانا به بعد أشهر

معدودة مطبوعاً طبعاً متقناً جميلاً .

لعلى بكتابة هذه الخناطرة أشرح لأبناء وطنى سر أمن أسرار

تأخر المصريين .

(١٩ سبتمبر سنة ١٩١٨)

هنا وهناك

هنا وهناك

ما أجمل جبل السنسير بضواحي ليون ، جبل أخضر اللون
تكتنفه تلال تكسوها الأشجار ومروج تقطعها الطرق . وعلى قمته
بذت يدُ ناسك متقشف بيتاً صغيراً يقضى فيه حياته ، تحوطه حديقة
غرس أشجارها بيده . هناك تشرق عليه الشمس وهناك يعم الظلام
بيته وهناك اعتزل العالم وهناك سيموت . وبين هذه الجبال نزلت
منذ ثمان سنوات في أسرة افرنسية لأقضى بينهم ثلاثة أشهر أدرس
فيها اللغة الافرنسية . وكان بينهم غير بعيد عن الجبل وكنت
أشرف منه على مدينة ليون فتراءى لى فى ظلام الليل بمصايحها
اللامعة . أيام جميلة تعيدها الذكرى لنفسى ، وما أجمل الذكرى
والانسان بعيد عن هذه البلاد التى قضى فيها جزءاً من عمره لاقى
فيه السعادة والصفاء . قلت إنى كنت نزيل اسرة إفرنسية مكونة
من رجل وزوجته وشقيقته وولدين له يذهبان صباحاً الى المدرسة
ويعودان منها قبيل الغروب فيلعبان ويمرحان فى الحديقة الى أن
يدنو الليل فيدخلان غرفة المطالعة ويقضيان مع عمهم ساعة من
الزمن قبل العشاء يعيدان فيها درس اليوم ويدرسان درس الغد ؛

وأبيح لي أن أشهد هذه الدروس لتعتاد اذنى سماع النعمة الافرنسية .
ففى ذات ليلة رأيت فى يد الطفل الصغير ، وكان لا يبلغ من العمر
الا ثمان سنوات ، قطعاً من الحجاره يدرس أسماءها مع عمته .
ورأيتُ الطفل الكبير ، وكان يبلغ الثانية عشرة من عمره ، يمسك
بكتاب فى يده مكتوب عليه هذا العنوان : (مبادئ علم الفلسفة) .
ولبثايتنا قشان مع عمتهما ثم قننا سويا للعشاء ومكشنا نتسامر بعد ذلك
ثم دخل كل الى غرفته لينام .

سبحان ربى لقد كنتُ أبلغ التاسعة عشرة بل كنت على
أبواب العشرين وكنت من حملة الشهادة الثانوية ولكنى كنت
جاهلا بعلم طبقات الأرض ومبادئ الفلسفة .

أما الطفل الافرنسى البالغ من العمر ثمان سنوات او اثنتى
عشرة سنة فهو خبير بعلم طبقات الأرض وبعلم الحيوان والنبات
والمنطق وعلم النفس . لقد كنت أمام هذا الطفل الصغير كالتلميذ
الجاهل أمام الاستاذ المتعلم

يحمل الشاب منا الشهادة الثانوية فأن كان من القسم العلمى
جهل على التاريخ والجغرافيا ، وان كان من القسم الأدبى جهل
الرياضيات والكيمياء والطبيعة . أما علم طبقات الأرض والحيوان

والنبات والفلسفة فلم تقرر بعد في برنامج المدارس الثانوية ولا ندرى
السبب في ذلك .

نكتب هذا لوزارة المعارف ونحن نأمل أن تصلح في
الغد ما أهملته بالأمس .

(١٣١ أكتوبر ١٩١٨)

العاشق المهفتون

بالرتب والنياشين

العاشق المهفتون

بالرتب والنياشين

(من رسائل مجبور افندى) (١)

خطاب من كاتب الى رجل لا يعرفه

ياصديقى العزيز .

اسمح لى أن أناديك بالصديق العزيز مرة فى كل عام وان كنت لم أسعد فى حياتى الماضيه ولن أسعد فى حياتى المقبله بمعرفتك، ومعرفتك أمر هام جداً ، بل هى شرف عظيم لكل من يجد فى قربك سعادة لنفسه وراحة لضميره المعذب . ولسكنى لا أكتمك، وان كانت صراحتى تؤلمك ، أنى لا أود ولن أود أن تسمح لى الظروف بمعرفتك بل برؤياك

لماذا إذأ أخاطبك فى العام مرة واحدة ؟ لماذا أكتب اليك هذا الخطاب وبينى وبينك مسافة ما بين الأرض والسماء ، مسافة طويلة جداً ، ولكنها لاتوجد الا بين نفسى ونفسك ! أما جسمانا

(١) كان فى عزم الفقيه أن يكتب سلسلة مقالات تحت هذا العنوان ولكن

لم يتم منها الا هذه القطعة .

فقريبان وربما التظا في الطريق مرة واحدة لانا نعيش سوياً على
صعيد واحد ، هو مصر . اذاً لماذا اُكتب ؟ انى لا أسائل نفسى
لاثنى أعرف السبب وسأذكره لك فربما وجدت فيه عزاء لنفسك
المضطربة وراحة لضميرك الهاجج . ولكنى لا أريد أن نتكلم سوياً
الا اذا اعتقدت أنى صريح فيما أقول وأنه لا يحملنى على مناقشتك
الا أمر واحد هو حجبى للناس . ومن هدا الحب تولدت فى قلبى
عاطفة غريبة نحوك ، عاطفة تتكونت من عصير الشفقة والرثاء . وما
أجمل الصراحة التى يتساقط من نورها الوضاح شعاع الشفقة والرثاء .
أنت بلا شك لا تغضب لآثنى صريح ولكنى أخشى أن
يسوؤك رثائى وشفقتى . لهذا أود من صميم قلبى ان تتنازل عن
كبريائك

عفواً أيتها الصديق العزيز ! عفواً ! لقد أخطأتُ مرة ثانية
وقلتُ إنك من المتكبرين المتغطرسين . ولكن ما الذى يضرك .
وهل يسوءك أن أصفك بهذه الصفة وانت ممن يجدون فى الكبرياء
والابهة لذة لا تقدر ؟ اظن اذاً أنى لم أغضبك مرة ثانية . وانى لم
أخطئ بالمرة . فاسمح لى اذاً أن أقول لك انى أود من صميم قلبى
أن تتنازل عن كبريائك فى غضون تلك الساعة الزمانية التى نود
أن نتحدث فيها سوياً وان لا يسوؤك انى اشفق عليك وارثى لحالك .

إذا فلنبدأ الحديث على الشروط الماضية . وحديثي معك يبدأ هكذا :

أنت أيها الصديق أحد رجلين ، فاما أن تكون من أعيان القاهرة ، تلك الجماعة التي تسكن القصور الشائخة تحوطها الحدائق الغناء ، والتي تركب السيارات ذوات الابواق المزعجة ، والتي اذا تكلمت تأنت في كلامها ووزنت كل حرف بميزان الأبهة والكبرياء ، والتي تلبس الملابس الغالية وتأكل الطعام الفاخر ، والتي تجد في التبخر ، اذا سارت ، باباً جديداً من أبواب الظهور بين الناس ، والتي اذا زارت لاتزور الا من له صلة بكبار رجال الحكومة ولهم تحني ظهورها ، وتمد للرق رقبتهما ، أما غيرهم فتظهر بمظهر المتعجرف الشامخ الذي اذا جلس اتحف بجباب الكبر واذا سار امتطى ظهر اثيه .

إما أن تكون هذا الرجل واما أن تكون الرجل الآخر ، أى من أعيان الريف الذين اذا أكلوا في منازلهم اكتفوا بالعيش والفتة واذا زارهم المأمور ذبحوا له الخروف يملوه الخروف ، والذين ينامون في غرفة ضيقة وياتحفون بملابسهم ولكنهم يعدون في قصرهم لرجل الحكومة غرفة جميلة وسريراً حريياً ولا يستنكفون من أن يقفوا في خدمته وقفة الخاضع الذليل ولكنهم يستنكفون أن يسمحوا

لزوجاتهم وأولادهم أن يأكلوا معهم .
إما أن تكون الرجل الأول أو الثاني . وسيان عندي أن تكون
أحد الرجلين لأن نفسيكما نشأت من نبع واحد، فأنتما شخص واحد .
دع عنك فروق المعيشة فما هي الا نتيجة الجو الذي عشتما فيه . ولا
يهمنى من أمركما إلا شئ واحد خضوعكما لمن في يده القوة
واستنكافكما من معاشره الآخرين .

الآن قد انتهيت من وصفك ويخيل لى أنك توافقنى عليه
لأنك عاهدتني قبل محادثتك بتنازلك عن كبرياتك وباعتقادك أنى
أصارك القول . والآن فلتتحدث قليلا لأعلمك لماذا أخاطبك
فى العام مرة واحدة . أظنك لا تنكر يا صديقى أنك تقضى العام
كله ماعدا عدة أيام قلائل وأنت مستطار الفؤاد حزين النفس ،
تقوم مبكرا من نومك وفى رأسك شاغل كبير يقطع عليك أحلامك
ويصور لك الحياة فى صورة قبيحة لاترضاها لنفسك . أليس الأمر
كذلك ؟ ذلك الشاغل هو قيمتك فى أعين الناس . أنت تود أن
تكون قيمتك كبيرة جداً ، تريد أن يكون مقامك بين نظرائك
أكبر مقام تسمح به الهيئة الاجتماعية فى مصر ! ولكنك مع
الاسف تجهل ماهية القيمة الإنسانية بل ربما كنت تعرف ماهيتها
ولكنك تتغافل عنها لانك لاتجد فيها الطريق السوى الذى

تسوغ لك كفاءتك السير فيه . لهذا تسير في طريق آخر آملاً
أن تصل به الى العرش الذى تطمح نفسك لارتقائه . وما نتج هذا
الا من جهلك لانك بلا نزاع لم تنظر للحياة بمنظار الحقيقة ولم تلبس
بعد لباس الحقيقة ولم تشرب أيضاً من ينبوعها الطاهر . وليس
الذنب ذنبك أيها الصديق العزيز لانك نشأت في جو لم تنل فيه من
العلوم والآداب قسطاً وافراً . فانت بطبيعتك جاهل . هذا ظل
قلبك مقفلاً أمام نور الحقيقة ، ذلك النور الذى يتغلغل في حنايا القلوب .
فيضيء ظلماتها القاتمة . ادا أنت من الحزب المصرى الذى يرى
قيمة الرجل بالرتبة التى يفاها أو فى النيشان الذى يحلى به صدره .
وباليتنه يرى ذلك فحسب بل يمتد نظره الى قاع تلك الهاوية فيرى
أن ليس من العار على الرجل أن يفعل كل ما فى وسعه وأن يهرر
كل واسطة للوصول لغايته . فانت اذا من هذا الصنف ، أى إنك
تود رفعة المقام فى الحياة دون أن تفعل شيئاً يذكر تستحق عليه رفعة
المقام . أظنك توافقنى أيضاً على ذلك . وأظنك أيضاً تقضى الامم
كله وأنت تزور من له صلة بمن فى الامور . تزوره كلما
سمنحت لك الفرصة فتمجاس بين يديه وقد يكبر بين عينيه .
وتمشى الذل فى شرايينك فأحنيت رأسك وتدللت فى السؤال .
والكلام والسلام ثم تعود الى بيتك وتمجاس على كرسيك جلسة

الكبرياء والعظمة وتفكر فيما فعلت .
انى أقسم بكل عزيز عندى فوق الأرض وتحت السماء أن
ضميرك لا يلبث أن يوبخك وأنت ترى فيما فعلت ما يحمر له وجهك
وترتعد فرائصك خجلاً . ولكنك تنظر الى يمينك فترى صديقك
فلان حائراً لرتبة باشا وأنت لم نحز بعد إلا رتبة بك . ثم تنظر
لشمالك فترى صديقك الآخر حاز نيشاناً وصدرك مازال خالياً
من تلك الأوسمة الجميلة . ترى ذلك بعينك فيزول احمرار وجهك
ويحل محله الاصفرار ، اصفرار منشؤه الغيظ والحسد . وتظل ركبتك
ترتعدان ، ارتعاداً ليس منشؤه الخجل بل الغضب والحقد . فتنسى
ما أنبتك به ضميرك وتقوم من مكانك وتركب عربتك لزيارة رجل
آخر ممن يتصلون بأولى الحل والعقد . وتظل العام كله وأنت لا يقر
لك قرار . فاذا دنا الميعاد وجاء الوقت الذي يتكرمون فيه على
الناس بالرتب والأوسمة أكثرت من زياراتك وقضيت لياليك
وأنت لاتنام ، يديك الأمل ساعة ثم لا يلبث أن يبعثك اليأس . ثم
ماذا ؟ تظهر النتيجة ثم ترى نفسك قد سقطت فى الامتحان . ويلاه
وألف مرة ويلاه . ويلاه لنفسك لانك لم تتل غايتك ، وويلاه لزوجتك
لانك تحرم عليها الطعام ، وويلاه لأولادك لانك تشبعهم ضرباً ،
وويلاه لخدمك لانهم يظنون مدة وهم مهددون بالطرد . ثم ترجع

لنفسك وتساؤها لماذا فاز غيرك ولم تفز أنت فلا تهتدى لشيء . ثم تسأل الناس وتعود لزياراتك الى أن يساعدك الحظ وتنال ما تريد . فاذانلت الرتبة أو النيشان تمشى السرور في نواحيك وهزك الفرح هزة تخشى أن تضر بصحتك . ثم تمر الأيام وتنسى كل ذلك وتنظر الى يمينك والى يسارك قري الصورة التي رأيتها قديماً ، ترى قوماً آخرين من أصحابك هم أعلا منك رتبة أو حازوا نيشاناً لم تحزه أنت فتعود الى شاغلك القديم وتكرر الزيارات والخضوع ، أي انك تظل طول حياتك معذباً مكروب النفس حزين القلب . فوالأسفاه لك ! ومن تلك الحياة المنغصة التي ارتضيتها لنفسك .

ولعلك بعد هذا الحديث الطويل توافقني بل تشكرني لأنى أشفق عليك وأرني لحالك . واسمح لى أيضاً أن أقول لك — وان كنتُ أشكُ فيما سأقوله — ربما يجول بخاطرک الآن هذا السؤال :

« اذاً ماهو الطريق الذى اذا سرتُ فيه استراح ضميرى وهدأت نائرة نفسى ؟ . ماهو هذا الطريق أيها الصديق ؟ » سأخبرك عنه . واعلم أن من أجل هذا السؤال أكتب اليك هذا الخطاب . أنت لست من العلماء لأطرق معك باب العلم وأقول : « اقرأ وألّف واخترع » . ولست من رجال الصناعة فأقول لك : « اعمل في سبيل دواج صناعة بلادك » . ولست من رجال الادب فأقول لك . « أى

كتاب كتبت ؟ » . ولست من التجار ولا رجال الحكومة ولا
ولا ولاكمك من الاغنياء . أنت من الرجال الذين
يكنزون في بيوتهم القناطير المقنطرة من الذهب والذين اذا مشوا
أوركبوا قال عنهم الناس « هذا هو الغنى فلان » . أنت من هؤلاء
أيها الصديق وأنا لا أطالبك بصرف مالك وتبذيره . كلا وألف
مرة كلا . أنا أودأن يظل مالك في حوزتك ولسكنى أرجوك أن
تتنازل عن بعض ايرادك لمن يستحقه . بلادك أيها الصديق محتاجة
لبعض مالك لينفق في سبيل الخير . أمامك الفقراء . يودون أن يجودوا
أمامهم مدارس يرسلون اليها أبناءهم بلا أجر . وأمامك الشيوخ الذين
أقعدهم المرض والفقير والشيوخوخة عن العمل . هم في حاجة للملجأ
يلم شتاتهم ويدفع عنهم ذل السؤال . وأمامك اذا سرت في الطريق
على قدميك الأطفال المتشردون الذين بأحسانك ينصلح حالهم
فيعودوا بالخير على أمتهم . وأمامك المرضى الفقراء . فهل لك أن
تنشىء لهم مستشفيات ، وفي طاقتك أن تفعل ذلك ؟ هذا هو السبيل
السوى الذى تستطيع أن تسير فيه بأقدام ثابتة .

أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك اذا فعلت ذلك ،
على شريطة أن لاتزور أحداً ممن كنت تزورهم وأن لاتحنى رأسك

للذل ولا تمد رقبتك للرق ، أتعرف أيها الصديق ماذا يكون من أمرك ؟ انى سأقول لك شيئاً ستندهش له وأخشى أن لاتصدقنى .
ولسكنى سأقوله على كل حال . انى أوكد لك أيها الصديق أن تلك الرتبة التى كنت تسعى لها ستسعى هى اليك وان النيشان الذى كنت تفتش عنه فى كل ساعة سيفنش عنك بنفسه . وسوف يقول الناس : « ان الرتبة والنيشان تتشرفان بك بدل أن تتشرف بهما » .

ثم بعد ذلك ، بعد هذا الكلام الطويل بينى وبينك ، مازلت أحس بدافع يدفعنى لأن أقول لك شيئاً آخر ولسكنى أفضل أن لا أقوله خشية أن تنفر منى وتظن أنى واهم أو أنى أخبط خبط عشواء . أقول أم لا أقول لأعلم ؟ دعنى أفكر ! وأخيراً قد استقر قرارى على أن أقول هذا الشئ . فان كنت حى الضمير صدقتنى وشكرتنى وربما قبلتنى قبله أخوية طاهرة . أما اذا كنت ممن لا ينفع معهم الكلام فانى لأخسر شيئاً كبيراً بما سأقوله بعد ما أتعبت نفسى فيما قلته لك . اعلم يا صديقى انك بعد ان تقوم باحدى الاعمال التى طلبتها منك ستشعر بشئ غريب ، بشعور جديد ، براحة فى ضميرك توحى اليك بأن تعتقد أن خير جزاء وأن أكبر مقام هو

تلك الراحة التي تشعر بها عند ما نرى عينك الاطفال الذين أصلحت
حالمهم والشيوخ الذين آويتهم والمرضى الذين شفيتهم .
عندها تنسى ربتك القديمة ونیشانك القديم وتعرف أن
الأحسان هو أعظم رتبة وأكبر نیشان . وأن الرتب والأوسمة ما هي
إلا أوهاام

(سنة ١٩١٧)

— (تم الكتاب) —

جميع الحقوق محفوظة للناشر

محمود تيمور

المطبعة السلفية - ومكنتها
مضاجيها: محب التربة للظب رعب العاصم فهدون

القاهرة سنة

فهرس الكتاب

صفحة-

٣

كلمة للناشر

٧

موجز عن حياة المؤلف واعماله

١٥

ماتراه العيون

١٥

١ في القطار

٢٩

٢ عطفة (ال . . .) . منزل رقم ٢٢

٣٩

٣ بيت الكرم

٥١

٤ حفلة طرب

٦١

٥ صفارة العيد

٧١

٦ ربي لمن خلقت هذا النعم

٨١

٧ كان طفلا فصار شابا

٨٩

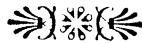
خواطر قصصية

٨٩

٨ ريان يافجل

صفحة

٩٥	٩ سارق وسارق
١٠٦	١٠ للمقرا، مجاناً
١٠٧	١١ درس في كتاب
١١٣	١٢ عرس ومأنم
١١٧	١٣ رمضان في قهوة ماتانيا
١٢٣	١٤ ولكن المرأة لم تخلق لهذا الهناء في مصر
١٢٧	١٥ لبن بالقهوة ولبن بالتراب
١٣١	١٦ سر من أسرار المصريين
١٣٧	١٧ هنا وهناك
١٤١	١٨ العاشق المفتون بالرتب والنياشين



فهرس الصور

صفحة

٤		المرحوم محمد تيمور
١٧	(رسم حسين افندي فوزي)	الشيخ المعتم
١٩	» » » »	الطالب الريفى
٢٠	» » » »	الافندى المعجب بنفسه
٢١	» » » »	الشركسى
٢٣	» » » »	العمدة
٣٥	(رسم عباس افندى كامل)	المطاردة الغزلية
٤٢	(رسم حسين افندي فوزي)	محمد بك مجدى
٥٤	» » » »	المغنى الأول
٥٥	» » » »	المغنى الثانى
٥٧	» » » »	المغنى الثالث
٦٨	» » » »	من أجل صفارة العيد
٧٩	» » » »	جنة المحبين
٨٧	» » » »	محبوب ومريته
٩٢	» » » »	ريان يافجل
٩٩	» » » »	الشيخ احمد يقبض عليه البوليس

- العريف والصبي (رسم حسين افندى فوزي) ١١٠
نحن يا ولدي نقرأها على بركة الله « « ١٤٣
-

اطلبوا مؤلفات محمود تيمور

الشيخ جهم

وأقاصيص أخرى

الطبعة الثانية منقحة ومزينة بالصور ظهرت حديثاً في عالم المطبوعات.

عم ستولى

وأقاصيص أخرى

لم يبق منه إلا بضعة نسخ قليلة وسيعاد طبعه عن قريب

الشيخ سيد العبيط

وأقاصيص أخرى

قرب أن ينفذ وسيعاد طبعه . وهو كتاب مصدر بمقدمة طويلة عن
البلاغة القصصية في الأدب العربي

متعهد ببيع مؤلفات محمود تيمور وكذلك « ما تراه العيون » للمرحوم
محمد تيمور :

المكتبة السلفية

بشارع الاستئناف . خلف المحافظة . بميدان باب الخلق
وكذلك تُطلب من المكاتب العربية المشهورة . ومن مكتبة
C.M.S الانجليزية بالقاهرة واسكندرية

يُظهِر فِي نَوْفَمْبَرِ الْقَادِمِ سَنَةِ ١٩٢٧ كِتَابٌ :

رَجَبُ افندي

رواية قصصية مصرية تأليف

محمود تيمور

يُظهِر قَرِيبًا فِي عَالَمِ التَّمثِيلِ وَالْمَطْبُوعَاتِ رِوَايَتِي :

الخطبة و البقعة

تأليف محمود تيمور . الاولى كوميدي درام ، مصرية ،
اجتماعية ، ذات ثلاثة فصول . والثانية كوميدي ، مصرية اخلاقية ،
ذات ثلاثة فصول

نسخ المخطوطات القيمة والكتابات الأثرية والسند المهمة

بالبصوتوغراف



في
دار الكتب العلمية
والمكتبة
القاهرة
بصوتوغراف
أحمد

مذكرات غليوم الثاني

اشترك في نقلها الى اللغة العربية

محب الدين الخطيب و أسعد داغر
منشء مجلة الزمراء المحرر بجريدة الاهرام
وهو في ٢٥٥ صفحة مترجماً ترجمة بليغة صحيحة . وثمانه ٨ قروش

قصر من نار

رواية وطنية تتضمن تاريخ مهضة الترك بعد الحرب العظمى

للسيطة خالدة أديب وزيره المعارف في أنقرة سابقاً

وتعريب محب الدين الخطيب

في ٢٠٨ صفحات ثمنها ٥ قروش

